الفائزون أول القرن الحادى والعشرين

القصص الفائزة عام ٢٠٠٠

الكتــــــاب : الفائـــزون أول القرن
الحـــادى والعشـــرين
النـــاشـــــــر : نادى القـــــصـــــة
الطبـــعـــة الأولى : ٢٠٠١ م
رقـــم الإيــــداع : ١٠١٥٣/ ٢٠٠١

نـــادى القصــــة
٦٨ شارع قصر العينى القاهرة ت : ٧٩٤١٩٢٩



هيئة المكتب

الفائزون
فى مسابقة القصة القصيرة
عام ٢٠٠٠

١- د. هانى قطب الرفاعى

٢ - محمد عباس على

٢- حسن أبو العلا

٤- شريف صالح عبده على صالح

٥- رشدى آحمد معتوق

٦ - السعداوى الكافورى

٧- د. وفائى محمود حجازى

٨- د. محمد مجدى محمد أبو المعاطى

٥- شريفة على امام بسيونى

١٠- محمد عباس على

الفائز الأول

رسالة من آمون

د. هانى قطب الرفاعى

من حقول الحنطة البعيدة جئت إليك يا آمون حاملا وديعتى لابنك الفرعون الإله، نفذت أوامرك وذهبت إلى خان الكهنة وبعت كل ما فى بيتى من خزين للعام واشتريت الذهب الخام، ثم أشعلت النار وصببت الذهب لأصنع رمزاً لماعت ريشة الحق التى سيوزن بها قلب البشر عندك هناك بعد البعث.

أعنى يارب الأرباب كى أصل إليه، وأن يتقبل المنحة التى حملتنى أمانة توصيلها إليه.

باسم زوجتك الجميلة آمونيت، وابنك الحبيب خنسو ساعدنى لإتمام مهمتى التى بدأتها منذ أسابيع عديدة قضيتها سائراً من قريتى البعيدة ختى وصلت لتخوم معابدك العظيمة ومملكتك الأبدية.

لقد تشققت أقدامى من طول المسير، وخف وزنى حتى صرت كالظل، زوجتى شجعتنى ارضاء للآلهة وأعطتنى تميمتها الوحيدة التى أخذتها من كاهن نوبى زار قريتنا يوما وقالت لى :

– عند المحنة اقبض على هذا الجعران المسحور وتمنى ما تريد.

تحت الضوء الخافت المنبعث من النجمات المتناثرات فى قبة

السماء المظلمة لاحت أسوار المعبد، قلبى يرتجف ودموع الرهبة تتساقط من عينى، سجدت مسبحا بحمد أمون وابنه الفرعون الإله.

واصلت المسير حتى وصلت إلى جدران المعبد الضخمة فأسندت ظهرى عليها ونمت حتى الصباح.

تسرب شعاع الشمس بين جفونى، فشاهدتها تشرق فى أقصى الشرق ويتسرب ضوؤها حتى يسقط على وجه التمثال الموجود داخل قدس الأقداس .

حين حاولت النظر فى وجه تمثال ابن الإله وشعاع الشمس يضىء وجهه، منعنى الحراس، وأخبرونى أن ميعاد خروج الفرعون بعد عشرة أيام حين يكتمل القمر وأن علىّ الانتظار.

تراجعت حزيناً، أغمضت عينى وقبضت على الجعران، لحظات واقترب منى أحد حاملى المباخر حليقى الرءوس ، سألنى :

– أتريد أن تدخل إلى قدس الأقداس لمقابلة ابن الإله ؟

كدت أن أسأله : من أخبرك بذلك ؟ لكننى تراجعت .

ابتسم واستكمل كلامه قائلا :

– غير مسموح لأحد من عامة الشعب بمقابلة الفرعون هناك وهو لا يخرج إلى قدس الأقداس إلا عند اكتمال القمر.

قلت له :

– معى رسالة من آمون سأنقلها له وقد حاولت أن أبعث برسالتى

هذه من خلال الكاهن المحلى لكنه رفض استقبالى إلا بعد أن أقدم القرابين الثمينة له، وعندما حاولت أن أقابل عامله هناك نهرنى جنوده وحكموا على بالخدمة لمدة شهرين فى تقطيع الصخور الخاصة بمقبرة يتم بناؤها لأحد الأشراف فى بلدتى البعيدة، وهددونى إذا تكرر منى ذلك فإنهم سيحكمون علىّ وعلى أسرتى بالعمل فى حفر المقابر الملكية لمدة عام كامل.

سألنى متعجبا :

– ولماذا اختارك آمون ؟

أجبته قائلا :

– أنا عبد مطيع قضيت عمرى أقدم القرابين لكهنة آمون، لم ألوث ماء النيل، لم أسرق ولم أقتل ، كنت باراً بوالدى أقدم لهم أطيب الطعام، لذلك اختصنى آمون وأرسلنى بريشة الحق ماعت إلى الفرعون كى ينشر العدل بين ضفتى النيل.

قال لى :

– انتظر هنا وسأساعدك لتقابل كبير كهنة آمون.

تركنى ودخل المعبد، جلست انتظره وأنا أبتهل إلى الإله أن يساعدنى، انقضى النهار وحين حضر لاصطحابى كانت الشمس توشك على المغيب.

توجهت إلى غرفة صغيرة ملحقة بالمعبد كان كبير الكهنة يجلس

فيها ، كررت له حكايتى التى أخبرت بها حامل المبخرة، وقبل أن أخبره بسبب اختيار آمون لى لحمل رسالته إلى الفرعون ابن الإله رفع يده اليسرى ناظرا إلىّ بعينيه الجاحظتين وقد انتفخت أوداجه من الغضب، أحسست بخوف يسرى فى عروقى فأمسكت عن الكلام خشية أن تحل علىّ اللعنة من غضب كبير الكهنة، أشار إلىّ كى أنضم لباقى الجموع المحتشدة عند مدخل المعبد.

انصرفت من أمامه وأنا أكاد أتعثر فى خطواتى.

هناك كان البخور يتصاعد من المباخر الموضوعة فى كل الأركان، ضوء الغروب يتسلل على استحياء لداخل المعبد، أحد الكهنة يمسك بسكين ويذبح إحدى البقرات على المذبح الحجرى الموضوع وسط المعبد وقد أحاط به مجموعة من الكهنة حليقى الروس على الجانب الأيمن، وعلى الجانب الأيسر اصطفت مجموعة من عبيد النوبة وأمامه مجموعة من القرويين البسطاء أتوا وهم يحلمون بأن تحل عليهم البركة بلمس الدماء المقدسة التى تسيل من البقرة المذبوحة رمز حتحور المقدسة، كل منهم يحمل كل ما استطاع حمله من القرابين.

لم أكن أحمل سوى سلة طعامى، تقدمت معهم ووضعتها أمام المذبح حتى تنالنى البركة ، استخف الكهنة من قربانى الصغير رمقنى أحدهم بنظرة سخرية واستهزاء ثم صاح فى الحراس كيف

سمحتم له بالدخول وهو لا يملك قرباناً يليق بالآلهة ؟

قبل أن يجيبوه على سؤال، حملنى أحدهم ورمانى خارج أسوار المعبد وأنا لا أكاد أصدق ما يحدث لى فى حضرة الآلهة ومِن مَن ؟ من كهنة الآلهة .

– هل تخلى عنى آمون ؟

– هل غادر العالم وذهب مع من ذهبوا إلى الجبل الغربى؟

تساقط الدمع من عينى، فكرت فى العودة إلى قريتى البعيدة لكن كيف أخون أمانة الإله التى حمّلنى إياها؟

لقد حضر فى منامى بنفسه وأمرنى فأطعت أوامره.

لابد أنها محنة يختبر بها قوة إيمانى، تماسكت ومسحت دموعى ثم اعتدلت فى جلستى، بحثت عن سلة طعامى ، تذكرت أننى تركتها قرباناً أمام المذبح، رغم أنهم عنفونى واحتقروا قربانى إلا أنهم لم يتركوه لى.

أمسكت الجعران وأحكمت عليه قبضة يدى، لحظات وتقدم إلى أحد القرويين البسطاء وأعطانى كسرة خبز وجرة ماء، ربت على كتفى وهو يقول :

– لا تحزن يا ولدى، هم قساة القلوب.

اشرب من هذا الماء البارد وتضرع إلى آمون كى يحقق لك ما تريد.

قال ذلك ثم تركنى ومضى.

غطى الكون ظلام تام بعد أن رحلت الشمس خلف الجبل الغربى، استجمعت عزيمتى وتسللت إلى المعبد مرة أخرى، قفزت من فوق الجدران، أتلفت حولى كى لا يرانى أحد، سرت متخفياً حتى وصلت للركن الموجود به قدس الأقداس حيث نظرت من خلال كوة صغيرة موجودة فى أحد الجدران، كانت الظلمة تخيم على كل شىء هناك ولا توجد غير جذوة نار أمام تمثال ابن الإله وبخور أصلى جلبوه من بلاد بنت تتسرب رائحة أدخنته النفاذة فتثير أشياء داخل النفس صرت أشعر بها تتحرك داخلى وضوء كابى ينسكب فى الحيز الضيق للغرفة الأسطورية.

خارج قدس الأقداس وعلى مسافة منه كانت جموع البسطاء مازالت تنتظر حضور الإله الذى يتجلى مساء كل يوم داخل قدس الأقداس فيتلبس تمثال ابنه الفرعون ويكلم جموع المؤمنين الذين أتوا من كل الأرجاء لحضور هذا المشهد العظيم.

أشعر بجسدى ينتفض من قدسية ما أراه، أتوقع أن أرى أمون العظيم يتجلى داخل قدس الأقداس كى يلوم الكاهن الذى نبذنى وأمر الحراس بطردى من خارج المعبد ويذكر بالإحسان ما فعلته من أجل نقل رسالته إلى ابنه الفرعون.

صمت الرهبة يغطى الوجود انتظاراً للحضور الإلهى المنتظر،

الوجوه تتطلع ، الآذان تنصت ، العيون تحاول أن ترى كل ما يحدث، صوت نفير الأبواق يهز جدران المعبد كما تهتز أركان فؤادى من الرهبة، ثم يسود الصمت من جديد، لحظات وتحرّك العازفات أناملهن فوق الأوتار، نغمات القيثارات العذبة تتردد تشبه صوت مرور النيل عبر الصخور، كما ذكرتنى بصوت ارتطام مياه النيل بأخشاب المراكب الشراعية التى نركبها عند عبورنا للبر الغربى، سكت العزف فانبعث صوت عميق يأتى من مكان سحيق يقول :

– أنا آمون جئت لأمنحكم بركتى.

اسجدوا وسبحوا بحمدى.

على البعد أرى القرويين البسطاء يسجدون وهم يهمسون فى خشوع قائلين :

– آمون . آمون.

يستكمل كلامه قائلا :

– أطيعوا كهنتى وقدموا القرابين لخدمة معابدى.

أطيعوا ابنى الفرعون الإله.

هم ما زالوا يرددون فى خشوع :

– آمون . آمون .

لاحظت وأنا أشاهد ما يحدث من خلال الكوة الموجودة بالجدران أن صوت آمون قريب منى، جلت ببصرى بين جدران قدس الأقداس

فلاحظت فى السقف فتحة يأتى منها صوت آمون الأسطورى.

انسحبت من مكانى وتسلقت الجدار فوجدت كبير الكهنة راقداً فوق السطح وقد وجه فمه إلى الفتحة التى شاهدتها فى السقف موجهاً الموعظة للبسطاء الساجدين هناك.

انسحبت بسرعة كى لا يعرف أننى اكتشفت خديعته فيأمر بقتلى أو حبسى عدوت فوق أرض المعبد الحجرية، قلبى المنتفض داخل صدرى يكاد يسبقنى، صعدت الجدران لأهبط خارج المعبد، وجدت حامل المبخرة فى انتظارى، وعلى وجهه ابتسامة مستسلمة وقبل أن أخبره بما رأيت قال لى :

- هل عرفت الآن الخديعة التى تدبر داخل المعبد؟

غلبنى الصمت، استطرد متسائلا :

- هل ما تزال ترغب فى لقاء ابن الإله ؟

لم استطع الرد على أسئلته، أمسك يدى وهو يقول :

- هيا يا ولدى، هذا قدرك ولابد من أن تستكمله .

هناك أخبرنى بحيلته، فحلقت شعر رأسى ، أعطانى ملابسه ثم حملت مبخرته واصطحبنى إلى غرفة ابن الإله، فى الطريق لهناك تملكتنى الرهبة لأنى سأقابل الفرعون العظيم الجالس على عرش آمون، أتحسس ريشة الحق الذهبية التى حملتها من بلدتى البعيدة لأسلمها له ، أتأكد من وجودها بين طيات ملابسى.

أقف بالباب الملكى إلى أن يؤذن لى بالدخول، نفسى الملتاعة تحلق فى الآفاق، داخل صدرى قلبى يتقافز يتمنى الدخول هناك، أضع مزيدا من البخور على الجمرات الموجودة بالمبخرة تتلاحق أنفاسى بالدعاء لآمون ليساعدنى على إتمام مهمتى، أحلم وأنا مفتوح العينين بعدل يسرى سريان مياه النيل عبر الحقول فتنتشر السعادة فى القرى البعيدة ويختفى الشقاء المرسوم على الوجوه، انفتح الباب الأسطورى، هبت من الداخل رائحة الطيب والعطر، وصل لسمعى صوت المغنيات وعزف العازفات على الأوتار.

أمرنى أحد الجنود فدخلت وقلبى يرتجف، فتيات جميلات كن يرقصن على أنغام الموسيقى، الفرعون العظيم كان هناك، اقتربت منه ببطء ، لاحظت أنه طفل صغير لا يتعدى الخامسة عشرة، تاج مينا كان بجانبه وأمامه سلة كبيرة من الفاكهة وفى يده كأس من الخمر، وحوله مجموعة من النساء العاريات، أخذ التاج وألبسه لإحداهن ودعاها لتقوم لترقص، أخذت تتلوى مثل الأفعوان.

أريد أن أهمس فى أذنه بالرسالة التى أحملها له من آمون، أضع المزيد من البخور، يتصاعد الدخان الكثيف، استجمع كل شجاعتى وأتقدم نحوه بخطوات مترددة، أعطيتها له، عيونه الذاهلة عما يحدث تنظر إلىّ فى استغراب، قلت له :

– إنها من آمون العظيم، كى ينتشر العدل فى ربوع مملكتك.

– أخذ منى ريشة الحق الذهبية، أخذ يقلبها بين يديه وهى تلمع فى ضوء القناديل الموضوعة بكل الأركان، نظر إلىّ مرة أخرى نظرة لم أفهمها، قام من مجلسه وهو يترنح مخموراً تقدم نحو الراقصة العارية التى وضع على رأسها تاج الملك العظيم مينا، ثم أخذ يلعب فى جسدها بالريشة الذهبية.

الفائز الثانى

مالك صـــوت

محمد عباس على



(١)الشرفة

لا يعرف «محمود» ما الذى جرى له بالضبط ، شىء غريب يحدث.. يحاول تفسيره، دون جدوى، فالمكان الذى عاش فيه حياته - ذلك السوق بكل ضجيجه وناسه وأحداثه - صار الآن لا يطيقه !

يقف فى شرفة شقته ليطل - كما كان يفعل من قبل - على السوق وبائعيه وزبائنه وميكروفوناته ومحاله فلا يملك الصبر على طول النظر، أو محاولة التمييز بين أصوات الميكروفونات وأنواع البضاعة التى ينادون عليها، فيهرول إلى الداخل مغلقاً خلفه الشيش والزجاج ويشد الستارة أيضا !

تسأله «مرفت» زوجته عما به، يشيح بيده فى ملل ولا يرد، تمضى إلى الشرفة لإعادة فتحها، يصرخ فيها ألا تفعل، تحاول كعادتها مجادلته والصراخ فى وجهه .. تقول أن الصالة مظلمة فى عز النهار، ينير المصباح الكهربى فى صمت ويعود لمكانه، يلبس نظارته ويمسك بالجريدة مخفياً وراءها بركان مشاعره.

* * *

(٢) القاتل والمقتول

حين حكت مرفت الحكاية لأمها، تبسمت المرأة العجوز وهمست لابنتها: «يريد الانفراد بك»، أشاحت مرفت بيدها معترضة: «في عز النهار، والأولاد حولنا؟» سألت الأم: «إذن ما الأمر؟».. حكت مرفت لأمها عن المعركة التي حدثت في السوق بين «سلومه العاصي» بائع الفاكهة و«الضاني» زميله وجاره في الفرش المجاور له، وكيف استخدمت السكاكين والجنازير وماء النار، وكيف تبعثرت البضاعة، وجرى الخلق، وتحولت السوق إلى خراب كبير، يجري فيه غرابان كبيران هما سلومه والضاني وكل منهما له فريق يسانده، يمضي معه بين كر وفر، ويقذف بماء النار والزجاجت الفارغة على الفريق الآخر.

ومحمود ينظر من الشرفة ويضرب كفاً بكف، ويلعن كل من تسبب في هذا، خاصة سلومة والضاني المعروفين بالاجرام وسوء الخلق.

وتكمل مرفت الكلام. تقول لأمها: واتصل محمود بشرطة النجدة. أبلغهم بما يجري، وذكر اسمه في البلاغ «الأستاذ محمود.. مدرس أول اللغة العربية» أكدوا له أنهم سيحضرون. مضت الساعات وهو ينتظر، بينما أول السوق يحتله سلومه وفريقه، وآخر السوق يتمركز فيه الضاني ومن معه. وكل فريق يسب الآخر على البعد، ويقذف بالزجاجات الفارغة نحوه.

إلى أن جاء «البورى شعبان» صاحب بورصة السلام الرجل الأنيق ذو البذلة اللامعة والنظارة الشمسية ذات العدسات السوداء والسبحة الكهرمان فى يده اليمنى ذات الخاتم الذهبى العملاق. نزل من المرسيدس «البودرة» فى أول السوق فطاح فى سلومه وفريقه ضرباً بقدميه ويديه وهو يلعن أباء أجدادهم، بعدها أكمل طريقه إلى الفريق الآخر الذى فر قبل أن يطوله، إلا أنه وقف مكانه ونادى بصوته الأجش على سلومة، فانشقت الأرض عنه ليقف أمامه مطأطئ الرأس، بعدها عاد صوته يزأر صارخاً على الضانى فجاء مهرولاً.

نقل نظراته بينهما فى قسوة، وهو يقيس كلا منهما طولاً وعرضاً. بعدها قال :

– بدل العراك وبهدلة السوق معكما، العراك سيكون أمامى.. وحتى الموت !

تصمت مرفت قليلاً لتلقط أنفاسها، ثم تكمل : وقف الاثنان وجهاً لوجه وكل منهما يحمل سلاحه، اقتربت الأرجل، تباعدت، تبارزت العيون، تمرجحت الأيدى وكل منهما يحاذر من الاقتراب من صاحبه. بدت على وجه «البورى» سمات الملل، مد يده إلى جيبه لتخرج بسلاح **ناصع البياض، أطلقه** ليشق الهواء إلى صدر سلومة ويلقيه أرضاً، **بعد أن اهتز فى مكانه** إلى الأمام والخلف وقد اتسعت عيناه لأقصى

ما يمكنهما، وتدلى فكه السفلى، ولم ينطق بحرف.

أما الضانى فقد أخذ يصرخ بلا وعى: ليس أنا.. ليس أنا دون أن يجرؤ على الإشارة إلى البورى.

فغرت الأم فاها.. همست : «والبورى؟».

قالت مرفت : «من كان له تاريخه بالشقاوة والمخدرات وما إليها، لا تخافى عليه، ثم أنه له رجاله».

عادت الأم تتساءل : «وماذا جرى بعدها؟».

أجابت مرفت : «دخل الضانى السجن، بتهمة قتل سلومة وألف من يشهد على هذا!».

* * *

(٣)الميكروفونات

فى تلك الليلة التى فقد فيها محمود صوته، كان السوق عامراً كالعهد به، وكأنما لم تكن هناك جريمة قتل حدثت، بينما الميكروفونات تتنافس على ترويج البضاعة التى تعدت الخضار والفاكهة إلى كل ما يخطر على بال، من محل شرائط الكاسيت الذى يملكه «حسن ستريو» الذى ينطلق منه صوت المسجل كاسحاً الأصوات.. إلى مزاد «الحمصانى» فى أول السوق، المكتظ بالبضاعة من كل نوع ، بميكروفونه الذى يعوى طول الوقت.. «نبيع كل شىء، تعالى وتفرج»..

إلى السيد الجزار الذى تحوم حوله الشبهات بذبح لحوم الحمير، والذى لا يحلو له الذبح إلا وسط السوق، محتجاً أنه أمام دكانه، وصبيه يصرخ فى الميكروفون.. «هنا اللحم الطازه. أحلى لحمه عندنا».. وفى الشارع المجاور كان سرادق سلومه العاصى، والميكروفون يؤكد أن المرحوم كان مثال الشرف وطهارة اليد!!

بينما فى الشارع المجاور للسوق، من الناحية الأخرى سرادق لمرشح الانتخابات الثورى النزيه - كما يقول الميكروفون - البورى شعبان، الذى كان يسلم بنفسه على الجماهير المحتشدة، وكلما سلم على يد وضع فيها نصف عشرين جنيهاً، وهو يؤكد على صاحبها قائلاً .. «اعط صوتك لمن يستحقه».. ويدور الهمس أن النصف الآخر من العشرين جنيهاً سيتم قبضه بعد الانتخابات، وفى البيت المقابل لبيت الأستاذ محمود، وعلى السطح كان فرح زكية بنت أم صابر بائعة الخضار، والمعروفة فى السوق كله بمغامراتها، والميكروفون يصرخ فى جاراتها.. «زغروده يا بنات للعروسة ذات العفاف».

وقف محمود ليلتها فى الشرفة، الأصوات تنفذ من مسامه إلى سائر جسده كحراب مسننة، فيتلوى بها، وبين الحين والآخر يضرب كفاً بكف، إلى أن انتبهت له مرفت فتركت التليفزيون وقامت إليه. انفجر صارخاً.. «يجب قطع رقبة الكذب!!» وهو يشيح بيده ويعاود

الصراخ، بينما صوته لا يبين وسط جمهرة الأصوات التى تملأ المكان، فجأة أغلق فمه، عاد يفتحه، لم يجد الصوت!!

*

(٤)غروب

قال الطبيب بعد فحص فمه وحنجرته :

– كل شيء طبيعي، أرى أن تعرض نفسك على طبيب نفسى شردت نظرات محمود وهو يستمع إليه.. رأى نفسه يقف وسط الطلبة ضائع اللغة.. شبت النيران فى صدره، هب من مقعده فزعاً، وعيناه تصرخان : لا، ربت الطبيب كتفه، سأله إن كان يستطيع الكتابة، هز رأسه بالإيجاب، أعطاه ورقة وقلماً، الورقة بيضاء كنهار وليد، والقلم بلون ظلام الليل، لامس السن السطور، انغرس فى احشائها، نفث سواده فى خلاياها وهو يجرى هنا وهناك يشخبط زارعاً الظلام. صرخ الطبيب : «ماذا تفعل؟».

كان النهار على الورقة قد استحال غروباً.

قام محمود واقفاً، اتجه نحو الطريق.

*

اليوم فى المقهى المجاور للبيت، والذى يعتبر مواجهاً لمدخل السوق، جلس محمود إلى مجموعة من رجال المنطقة وشبابها، رغم اعتراض ميرفت على هذا.

فتح فمه ليتكلم، عاجله أحدهم بسؤال طالباً منه أن يحكى ما حدث له مع الطبيب النفسى، استدار إليه محمود بكليته متفحصاً، فارتسم الجد على محياه، مما دفع محمود للقول : «لن تتخيلوا ما حدث، حكى لى عن ظروفه وبُعد الناس عنه بحجة أنه كبر.. عجز.. صار لا يصلح لهذا الزمن، وحكيت له عن شعورى بالاختناق وأنا أرى السوق فى كل مكان أذهب اليه، وأسمع الميكروفونات ليل نهار تدلل على بضاعة يعرف الجميع حقيقتها، خاصة ميكروفون المزاد الذى يصرخ «نبيع كل شىء»، والحقيقة الرجل أيدنى، شاركنى شعورى، قال لى ليس المهم ما تسمعه وتراه، المهم ما يدخل عقلك، سألته وهذا الإلحاح والزّن على الآذان، ضحك الطبيب وقال الزّن على الآذان الفارغة، أما التى لديها مناعة فلا تتأثر.

قلت له : ومن أين آتى بهذه المناعة؟ .. أشار إلى مكتبته الغامرة. ولم يرد».

شد شيخ معمم نفساً من دخان المعسل، وهو يشيح بيده التى

تقبض على نصف العشرين جنيها، ويدير رأسه عنه، بينما قال شاب يافع بصوت حاسم :

– اسمع يا أستاذ . نحن هكذا، وسنظل هكذا، عن إذنك، ارتفع صوت محمود: يا جماعة واجبنا أن .... قاطعته كلمات السخرية من هنا وهناك، ارتفع الضغط فى رأسه. رفع صوته أكثر، فأكثر، كان الجمع قد قابل «البورى شعبان» وحملوه على الأكتاف وساروا يهتفون له، وكل منهم يقبض فى يده على نصف العشرين جنيهاً.

رفع محمود صوته أكثر، فجأة أغلق فمه، عاد بتوجس يفتحه وهو يركز فى الانصات إلى صوته.. كان الصوت ضعيفاً، متحشرجاً، غير أنه أسعد الأستاذ .. شعر أنه ما يزال يملك صوتاً.

الفائز الثالث

آخر حواديت شهر زاد!!

حسن أبو العلا

ترجَّل الجنود عن الجـيـاد اللاهثـة.. هجـمـوا على منزل «صـادق الخباز» قال له كبيرهـم :

– ابشر يا صادق !! ابنتك «أحلام» ستكون ملكة على البلاد!!.

ارتفع صـراخ النسـوة والأطفـال داخل الدار! وبهت «صـادق الخباز» وصاح متألما:

– ولكن ابنتى عاهرة.. وليست عذراء! إنها لا تليق بالملك المعظم شهريار!. قهقه كبير الجند بقسوة.. ضحك بميوعه.. ثم قال غامزاً بعينيه :

– حيلة قديمة!! سـيكشفـها حكيم القصر.. وإن اتضح أنها عذراء.. قطعنا لسانك لكذبك !

* * *

اختفى موكب الجنود المفترسة حاملين «أحلام صادق الخباز» وأمـها تلطم خـديها.. وتشـد شـعرها.. وتمزق ثيابها وتردد غـير مصدقة:

– ابنتى «أحلام» ستكون ملكة بالليل ؟ وقتيلة فى الصباح؟!

انهار «صادق الخباز» ورفع يده للسماء يشكو العجز.. وقلة الحيلة.

لم يجرؤ أحد من الناس على الحركة أو الكلام إلا «المجذوب سرساب» الذى هتف بصوت ممدود :

- الزواج.. إيجاب وقبول.. وما يحدث اغتصاب وقتل !!

خاف الناس وقالوا : «المجذوب سرساب» يحميه جنونه! ولا أحد لنا يحمينا!

رفع «صادق الخباز» رأسه.. وقد وجد مخرجاً من ضيقة.. وقال وهو يبتسم بغرابه :

- سأكف عن الخبيز وأجن!.. أيها الناس : أنا أيضا.. مجنون !.

* * *

قال الوزير «شاهين» هامساً لابنته وهو حزين: ذهب اليوم إلى «قاضى القضاة» رجلاً يدعى «صادق الخباز».. ومعه مجذوب اسمه «سرساب» يطعنان فى زواج شهريار من ابنة الخباز لعدم التكافؤ ! لأنه - كما قالا - لا ينبغى لملك أن يتزوج إلا من أميرة أو ابنة وزير وليس من ابنة خباز فقير !.

هتفت ابنة الوزير «شاهين» بفرحة شديدة: أخيراً يا أبى تكلم الناس!!.. الحمد لله!!

تلفت الوزير حوله بخوف.. ونظر للجدران بريبة.. وهمس مؤنباً

ابنته :

– اخفضى من صوتك لقد خاف «قاضى القضاة» وجاءنى بالخبر همساً.. كما أحكيه لك همساً !

قالت الابنة بجدية :

– لماذا الهمس فى قول الحق يا أبى ؟

استمر الوزير يهمس بلهجة جادة:

– سكوت الناس على الظلم.. جعله عرفاً مقبولاً.. والمنافقون هم الحكام فى هذه الأيام بعد أن أبعدونى وقاضى القضاة عن السلطة.

جارت الابنة أباها فى الهمس قائلة :

– وأين المخلصون ؟!

لم يتوقف الوزير عن الهمس وقال متبرماً من الحاح ابنته :

– المخلصون راحوا فى داهية! أبعدهم المنافقون بعد أن تقربوا للملك بتشجيعه على الانتقام والقتل.. ولا أحد يدرى من يستطيع أن يوقف نزيف الدم ؟!

أجابت الابنة بثقة :

– أنا قادرة على ذلك !!

تطلع إليها والدها، وقال باستخفاف وهو مصر على الهمس :

– ومن أنت ؟!

أجابت الابنة مزهوة بأنوثتها وذكائها :

– أنا «شهر زاد»!

* * *

ولولت أم «شهر زاد» تنعيها :

– سنسلمك بأيدينا لشهوانى قاتل!!

ضحكت «شهر زاد» وقالت لأمها :

– شهوانى؟! إن هذا ما يريد أن يثبته لنفسه، وللناس ، بعد أن خانته زوجته الأولى!.

ولكنى أؤكد لك أنه لن يمسنى بسوء .

لم تطمئن الأم وسألتها :

– كيف ؟!

أجابت «شهر زاد» بدلال ساخر :

– سآخذ عليه تعهداً: ألا يقتلنى وأنا عذراء!.

دخل الوزير «شاهين» على ابنته «شهر زاد» بعد أن جهزوها لتزف «لشهريار» ولما رأى جمالها .. وهدوءها المطمئن..

تسلل الأمل إلى نفسه القلقة وتنهد قائلا :

– آه «يا شهر زاد» لو استطعت فعلاً أن تلهى هذا الوحش «شهريار» عن نفسه عدة ليال!

ابتسمت شهر زاد بثقة وسألت أباها :

– كم ليلة يا والدى؟

تلعثم الوزير شاهين وهو يقول :

– لا أدرى.. ربما حتى يشعر الناس بالأمن.. أو يعود الهاربون.. أو.. حتى يشعر الرجال برجولتهم! أو......

قاطعته «شهر زاد».

– ألف ليلة؟ هل تكفيكم يا والدى.. ألف ليلة.

أجاب الوزير شاهين :

– أكثر من كافية.. بإذن الله.. ستكونين طليعة فدائية.. وبعدها.. نأتى ورائك !!

* * *

دخل شهريار على عروسه الجديدة.. فوجد وجهاً مبتسماً صبوحاً، وعينين نجلاوتين وقداً ملفوفاً.. فظن فيها العته أو الجنون.. فكيف لا تخاف.. وموعد قتلها يحين فى الصباح ؟!

سألها ليختبر رجاحة عقلها :

– لماذا لا تخافين منى يا شهر زاد ؟!

تنهدت بإغراء.. وهمست بصوت حلو كالغناء.

– وهل يخاف الحبيب حبيبه يا مولاى ؟!

ارتعش قلبه أمام جمالها المثير.. وجلس بجوارها على الفراش الوثير.. فأسكرته رائحتها العطرة .. فهتف والدنيا لا تسعه من الفرحة :

- لقد ظننت أننى سأقضى الليلة استمع للولولة والبكاء!

اقتربت منه «شهر زاد» ولثمت أذنه.. وهمست برقة :

- لا بكاء يا حبيبى ولا عويل.. بل غناء، وهناء حتى يقصر الليل الطويل !!

تحول «شهريار» إلى طفل كبير.. فغالب شكه وسأل بعناد :

- أحقا تحبيننى يا «شهر زاد»؟

- أكثر مما أحبت «الأميرة بدر البدور» الشاطر حسن يامولاى.

- وما حكايتهما يا شهر زاد .

* * *

وقع «شـهريار» فى خطة «شـهـر زاد».. إذ أخذت مع حكايتـها المثيرة.. تشعل اشتهاءه لها، وتجعله لا ينال منها مأربه.. فكان يؤجل قتلها حتى ينالها، ومع استمرارها فى الحكايات .. وتقمصها كافة الشخصيات فتن «شهريار» الملك بجاذبيتها.. وأصبح أسير رغبتها .. ونسى السياف !

* * *

عادت للوزير «شاهين» كافة السلطات.. فأجلس قاضى القضاة فى ديوان القضاء يحكم بين الناس بالعدل وعاد «صادق الخباز» يصنع الخبز.. واستطاع المجذوب «سرساب» أن يقول كلمة الحق.. فلا يصفه أحداً بالجنون.. بل أطلق عليه الناس (الحكيم سرساب)!!

وعندما أمن الخائفون.. وعاد الهاربون.. وكثر المخلصون.. تحول منافقو العهد القديم إلى هاتفين للعهد الجديد!!

لاحظ الملك «شهريار» تبديل رجاله المقربين.. بآخرين! افتقد فى عيون المحيطين به نظرات الخوف والخنوع.. طلب من أحد الخدم استدعاء السياف !!

* * *

طال انتظار «شهريار» للسياف.. زاد القلق فى نفسه عندما رأى «شهر زاد» – وحدها – تدخل عليه.. وتجلس بهدوء بين يديه.. وتلقى التحية عليه.. قال لها غاضباً.

– أين السياف ؟! لقد طلبت السياف ولم يحضر حتى الآن !

أجابته «شهر زاد» باطمئنان أزعجه.

سأستدعى السياف بنفسى.. بعد أن أحكى لمولاى حدوتة الليلة!!

جلس «شهريار» وادراكه للحقيقة يطبق عليه ويكتم ثورته وغمغم :

– حواديت.. حواديت؟ لقد فهمت من البداية سبب حواديتك الساحرة «يا شهر زاد»!!

* * *

رمقته «شهر زاد وقد فهمت أنه فهم.. وسألته مراوغة :

– ما هو السبب.. أيها الملك؟

– السبب ؟! السبب أن أصل لهذا «ياشهر زاد»! لا أستطيع أن استدعى السياف.. بينما يستطيع ذلك آخرون!!

– إذن.. لقد حان موعد آخر حدوتة «ياشهريار»!! انصت جيداً !:

يحكى أن ملكاً قوياً.. استهان بشعبه.. فلوث يديه بدماء العذارى والأبرياء..

قاطعها «شهريار» مبهور الأنفاس :

– أنا أعرف هذا الملك أكثر منك «ياشهرزاد».. إن هذا الملك يكره الضعف.. ولما لم يجد بين شعبه ندا له احتقره.. وظلمه.. فلم يسمع إلا التصفيق الحاد!! تمادى فى الظلم فلم يقاومه أحد من الأحياء.. ولولا الأشباح التى هبت من ضميره تحاصره وتعذبه.. لما استسلم لحواديتك «ياشهرزاد».. والآن ماذا بعد الحواديت؟!

* * *

قامت «شهر زاد» من حضرة «شهريار» دون استئذان.. وتركت المكان.. وجلس «شهريار» فى القصر وحيداً.. ينتظر!!.

الفائز الرابع

لـــوكـــا

شريف صالح عبده على صالح

رأيت البنت بشعرها الأجعد ورائحة العرق، والبنت رأتني.. إيقاع نظراتي كان سريعا خجولا، لا أعرف الميناء ولا لغة الكلام هنا، غمز زميلي وقال :

- «تعال»

- قلت :

- «لا»

كانت تبتعد.. تسير مع البنات، وبأذرعهن تعلق سلال الخوص وتتأرجح، ملأنها بالسجاير المستوردة والمناديل وأكياس السوداني، يتسللن بين الوجوه والحقائب والصناديق التي تغلق امتداد الرصيف.

جذبني من ذراعي وقال :

- «تعال نذهب إليها»

- «نذهب لمن؟!»

- «البنت السمراء»

أشرت برأسي رافضا، ثم رأيته يمضي ويتكلم معها، كنت مشدودا - لا أعرف لماذا؟ - إلى رائحة عرقها المتبلة ودقة ملامحها البرونزية، كان لها فم يشبه فم السمكة، ورأيتها تتلفت ناحيتي ثم اختفيا معا داخل أحد الممرات الجانبية، وكأن زميلاتها لا يبالين

بشيء، يلوحن بأيديهن.. يتبادلن القبلات مع البحارة.. مع زملائي جنود حفظ السلام ذوي القبعات الزرقاء.. مجرد قبلات بريئة تتطاير في الهواء فحسب.

لماذا لا أذهب أتلصص عليهما في الممر؟ لماذا لا أتبع رائحة العرق الحارة ؟! لابد أنها انزوت - منساقة - في آخر الممر.. لن تقاوم قبلة طويلة لها ملمس الحرير الدافئ.. وربما يفعل الآن بهدوء وهما واقفان في العتمة.

لماذا لم أذهب أنا من البداية ؟!

كانت الباخرة التي تقلنا راسية تجأر بلا نهاية.. تدوي دويا مبتورا غليظا متحشرجاً.. وزملائي يسرعون يمضون في اتجاه واحد وعيونهم لا تنظر إلى شيء، على ماذا يستعجلون؟ ونحن في النهاية نساق للقتل على الحدود بين بلاد وبلاد؟! شاهدت إحدى الفتيات البائعات تدس إصبعين في فمها وتصفر للجنود وهم يصعدون سلالم الباخرة.

تواريت بعيداً، لا أرغب في العودة إلى الباخرة ولا أقدر أن أذهب إلى الممر، لمبات الصوديوم على امتداد الرصيف تخترق ضباب الليل بأشعة واهنة، وزميلي يخرج وهو يرتدي القبعة الزرقاء، كانت البنت تجري وراءه وتصيح :

- «أجون نيجر نيرر؟*»

أما قبعته كما كانت ويده فى جيبه، وربما يصفر الآن يدندن لا يبالى بشىء، وهو عائد إلى السفينة التى أعطت إنذاراً أخيراً قبل الإقلاع.

البنت تسمرت فى مكانها والسؤال ينساب بين شفتيها :

– «أجون نيجر نيررك؟»

الأخريات يتسكعن ورائها بخباثة، ثم انفجرن ضاحكات.

كانت السفينة تغادر دونى، ورأيت البنت تجرى، مرت بى دون أن ترانى، ورغم ذلك أنزلت قبعتى الزرقاء على عينى أكثر، كانت – وهى تجرى – أشبه بكانجارو تائه.

عيون البنات تتابعها :

– «لوكا!»(*)

– «لوكا!»

البنت اسمها لوكا، لها فم سمكة ورائحة متبلة واسمها لوكا. البنات لازلن ينادين ولكنها اختفت، اختفت لوكا، والأخريات جلسن صامتات على حافة الرصيف، يراقبن رقرقة الماء والأضواء والظلال المنعكسة، وحين كانت تتراءى أنوار إحدى السفن فى البعيد كنّ يقفن ويلوحن بقبلات وهمية وتنهدات حارة لرجال غير موجودين.

(*) لهجة تشادية معناها : «متى سأراك ثانية؟».

الفائز الخامس

حب الرمان يعانق الماء

رشدى أحمد معتوق



لأول مرة بعد الحادث تسند ظهرها إلى جذع نخلة، تشرف من زمن بعيد على مرسى عيون الجوى مثل فنار أثرى رشيق، قلة من السفن فى الميناء ترفع رايات اهترأت وبهت لونها الأسود، فى الرباط القبلى مراكب غريبة ليلت عليها الدنيا فأوت إلى حضن المرسى وتواصل السفر كالعادة مع ضوء الفجر، غير بعيد عنها قوارب الصيادين مرصوصة ومشدودة لبعضها بحبل واحد تفوح منها رائحة السمك وتنبعث من بطونها زبالات ضوء خافتة تظهر وتختفى مع نسمة الهواء وهزهزة موج يداخله نعاس الفجر، فى الرباط البحرى مراكب بلاليص العسل وصنادل عليها براميل زيت لزوم مصنع طوب الحاج حسن فرغلى، فى وسط المرسى تماماً لازالت ترقد مركب فتاها النوتى همام تشغى بصيد فئران اتخذت منها سكناً ترتع فيه وتلعب، فى الجهة الغربية من البوز كتب همام من شر حاسد إذا حسد، وفى الجهة المقابلة رسم قلبين فيهما سهمان، ووجهين فى أحدهما عيناه الماكرتان تستقران فى قلب عينيها كأنهما تنهلان من شهد مكرر.

وإذ تقلب وجهها فى الفضاء الهائل يتداخل فى عينيها لون الضوء الأبيض ولون الخيط الأسود يلملم نفسه ويهرول ناحية الغرب، يثير فى نفسها ظل الغرب المائل هناك احساسا عميقا بالضيق كأنها رعت فى حضن الجبانة من مائة عام، لكن صوت سيدنا الشيخ حامد أبو دنيا ينساب كمقطع الحرير من فوق زاوية الشيخ الواسطى يشدها ناحية الشرق.

تحررها ابتهالاته الشفيفة المشحونة بدفء المشاعر من قيود الزمان والمكان، فتحس بروحها تشف حتى تكاد تعتلى السماوات السبع، ثم درجة فدرجة تهبط على دبدبة مداسات على السكة وأصوات ارتطامات أجسام بشرية بالماء البارد وكلمات تشهد ومضمضة وضوء يتخلله همس ضاحك عن فضل النساء الدائم على الرجال وبالذات فى فى ليلة الجمعة المباركة.

طافت بها مداعبات الشيخ حامد لفتاها النوتى ليلة الحادث.

كانت الصلاة قضيت وبعدها درس العصر.

ثم تفقد الحاضرين وقال :

– مالى لا أرى همام بن سند الجبالى يا جماعة ؟

لم يتخل الشيخ عن طريقته فى الحوار منذ كان يعلمهم فى مدرسة عيون الجوى، كان يتخذ من همام فى فصل خامسة رابع وسيلة إيضاح، نقطة بداية، حتى يضمنا أن رسالته وصلت لعقول

وقلوب الصغار، جاءه صوت همام يؤكد له أنه ليس نائما على أذنه، وإنه فهم المسألة من الألف وحتى سوى الله النفس فألهمها فجورها وتقواها، تبسم الشيخ ضاحكا وقال :

– قل لى إذن يا همام.. فاجر أنت يا ولد أم تقى ؟

قال همام ضاحكا :

– أنت عارف البير وغطاه يا سيدنا، أكدب إن قلت فاجر قرارى وأكدب إن قلت تقى ونقى مثل الثلج.

– قال الشيخ بصوت وقور جاد :

– فالدنيا لا يستقيم لها حال إن طغى فيها جانب على جانب آخر حتى احتواه تماما.

ثم صمت قليلا وأضاف :

– والحال كذلك فى أمور الدين يا جماعة.

وإذ يتكئ سيدنا على ذراع همام خارج زاوية الشيخ الواسطى يهمس فى أذنه مازحا :

– هه ... سمعت يا ولد يا همام آخر نكتة، العهدة على الراوى يا ولد، قال يا سيدى رجل قال لزوجته البدر يفوقك حسنا، قالت زوجته اذهب وحل سراويل البدر بدلاً من حل سراويلى.

شهق الاثنان فى ضحكة طويلة وثرية، وهمس بعدها همام:

– طيب اسمع يا سيدنا آخر نكته.

– جال يا سيدى بت من نواحينا أتزوجت واحد بندرى، وفى ليلة الدخلة خلصت عليه، أبوها راح يزورها فى الصباحية لجاها ماسكه السكين غرجان بدم الراجل، جل ليه يا بت عملتى كده ؟ شمخت براسها لفوج وجالت الشرف غاااالى يابوى.

وتعانق الضحك مرة أخرى.

– مليحه يا ولد، صحيح يا همام الضحك غذاء القلب.

– وآه يا سيدنا لو الواحد يموت وهو بيضحك.

– أما أن نموت فأبصم لك عليه بالعشرة، وأما وأنت تضحك فهذا خارج الضمان، وغرق درب الجنيدى فى موجة من الضحك اللذيذ.

– اصطدم رأسها بطلق النار يرجع الفضاء صداه كنعيب البوم فوق خرابات السوء، قال الذى نجا همام كان يستعد للاقلاع بركابه لزيارة المعبد الجنائزى فى البر الغربى حين قفز إلى مركبه رجل مثل خفاش الليل يشهر السلاح طار همام من مكانه على الدفه يقف بينه وبين من معه على السفينة درعا فى مواجهة الموت.

تكبكب الجميع خلف ظهره مثل قطع اللحم البارد يتفجر رطانهم بالأنين بينما راح همام يحاور الرجل بصوت ناطق بالدهشة والرجاء والألم.

– يا بوووى ! ليـه يا واد عم؟ ل ى ى ى ه؟! نطلع رصـــاصنا علغراب ياخوى؟ الناس تجول علينا إيه؟ ملناش زمه عاد؟! ولا مله؟!

ولا حتى عـهد؟! اسـمع، ديلوك الناس هـادول جـالوا السـلام عليكم، زدينا السلام هاه، تاجى أنت تخلص عليهم؟! أرم السلاح يا ولد الله لا يسيئك وتف هاه ع الشيطان الوسخ ابن الكلب.

وتزيغ الأبصار وتبلغ القلوب الحناجر وهمام مستمر فى محاورة الرجل فى هدوء.

– أجول يا واد عم ، إن كنت ياخوى مريض نجبلك حكيم يعالجك، مش عيب، وإن كانت مـخرمـة مـعاك نشوفلك جرشـين... ولا حـتى شغلانه تاكل منها عيش، الخير كتير يا واد وما يهمك، وإن كان حد برجللك دماغك بكلمتين، اجعد مع روحك وفكر ، الزين بين والعفش كما عاد.

دفـعـه الرجل بماسـورة البندقـيـة فى بطنه يحـاول الوصـول إلى الركاب على الدم فى رأس همام فزعق فى وجهه كالمجنون.

– يعنى ما فيه فايده فيك؟ خلاااص ؟ مـخك سكر؟ جفِّل يعنى؟ طيب يمـين بالله العظيم مـا تمس شـعـره منيـهم إلا على رجـبـتى وأضـرب يابن الفـرتوس يا واكل ناسك، وانطلقت الأعـيـرة النارية تطرطش الدم على ماء النهر الجارى وفوق مركب همام وعلى وجه الفجر الزاحف من الشرق، ولم تدرى حين هرعت إلى المكان أحشاء من كانت تلملم وأعضاء من كانت تحضن، وتسقط الشهور فى جوف الشـهـور والحـداد يكفن قلوب البنات والعـجـائز ويلقى بظلاله على

أشـرعـة المراكب وجـذوع النخل وواجـهـة المدرسـة وزاوية الشـيخ الواسطى، حتى الطيور المهاجر فرت مذعورة قبل أن تعلم صغارها. تستحم فى شمس عيون الجوى.

– ومن فوق رأسها مرق كالسهم كروان صغير يزغرد فى الفضاء المشـرب بضـيـاء الصـبح الوليد، بانت أمـامـهـا مـعـالم الأشـيـاء وتفـاصـيلهـا. كـأنـهـا لأول مـرة فى حـيـاتـهـا ترى شـجـر الوح واح وشـواشى النخل وغـيطان الفـول ومـدخنة مـصنـع الطوب وأسـراب السمك تقفز وراء بعضها فى مرح بهلوانى، ومع نسمة الهواء المعبأ بالريحان يغازلها من جديد هاجس قديم، ماذا لو أنها فعلا ألقت فى ماء النهر الجارى من تحتها مسبحة عملتها بيديها من ثمار أشجار المدافن ؟ ومـاذا لو أنهـا تسـمح للحظات جـميلة فى حـياتهـا تغزوها غزوا؟ ثم ماذا لو أنها بعد ذلك تخلع نعليها وتقول لموجات الغزو هنت لك؟ فى أول الأمر كانت تحسبها خاطرة خاطفة برقت واختفت، لكنها عادت تنقر فى رأسها نقرا خفيفا متصلا يحرضها تعطى ظهرها للبر الغربى حيث يرقد فتاها النوتى، لا تعلم إن كان الآن كومة عظام أو حفنة تراب، هبت نسمة حانية تدفع أمامها الموج مثل قشور الفضـة فيـرتطم فى دعـة ولطف بأحـجـار على الشط ثم يرتد عنها، يوشـوش جـدران المراكب الراسـية ثم يمـرق إلى البـر يتـغلغل داخل التجاويف ويندفع فى الشوق البعيدة يتحشرج ثم يشخلل فى طريق

عودته إلى مجرى النهر من جديد.

تأخذها حركة الموج الرافض للاحتواء إلى عالم الأحياء وتسمع الهمس من داخلها، خطوة واحدة فى الاتجاه الآخر تعدل كفة الميزان المائل ناحية الغرب بشكل حاد ... ألم تظل أمها خمسة عشر عاما تولى وجهها هناك حتى جرفها التيار المتدفق بلا رحمة ؟ صارت الآن فتافيت امرأة مذعورة لا هى حيه فترجى ولا ميتة فتنسى، فماذا لو أنها تجرب الآن وكل الظروف حولها مواتية، النهر يجرى من تحتها عذبا فراسا سائغا للشاربين، يمكن أن تمد ذراعيها وتحفن بيديها وترش على الشعر والوجه وتبل العنق والصدر، لا مانع أيضا تمد رجليها حتى ترى فى صفاء الماء بياض السمانتين المدملكتين مثل كيزان زبدة طوبة، لا أحد من قريب يجرحها أو يتلصص على جسدها الفائر وعلى نهديها البكرين، لا حرج حتى أن تخلع قميصها الفوقانى الأسود، وتبقى بالقميص التحتانى اللينوه المنقط أحمر فى أخضر فى أصفر، وعلى مهلها تنزل تتحسس العمق برجليها، ولما يصل الماء إلى حدود صرتها وتتأكد أن ليس وراء الموجة نية غدر تغطس، تحسب كم من الوقت تبقى تحت الماء ثم تكرر المحاولة مرتين أو ثلاثة أو حتى عشرة.

انسكب على وجهها أول ضوء للشمس وهى طالعة كالملكة تطل على الرعية، كل شىء حولها بدأ يتمرد على السكون، يتنفس ،

يتحرك... يتمطى، يطول يزحف يتثنى ويتقافز الموج ناحية البر يداعب المراكب الراسية يهزهزها يميمنا ويسارا ثم يرتد عنها ويعود يطرطش على وجهها، يتسربل الماء داخل قبة قميصها المفتوح يداعب نهديها حب الرمان، تغمرها النشوة من راسها حتى قدميها يحط على صفحة الماء فى تلك اللحظة أول فوج من الطيور المهاجرة تبلل أجسامها المعفرة المجهدة بعد رحلة سفر طويلة ثم تطير تفرش أجنحتها حوض الغيط البحرى، فى ذيله سرب آخر يغطس ويطير إلى حوض الغيط الشرقى، بعد فترة وجيزة تنفرش الأرض كلها بالعصافير، تبدأ موسم التزواج وتستحم فى شمس عيون الجوى، يجتاحها احساس قوى مباغت لمعانقة الماء فتخلع نعليها، تعطى ظهرها للبر الغربى وفى لمح البصر يعانق حب الرمان أحضان الماء.

الفائز السادس

مراسم خاصة للسقوط

السعداوى الكافورى



مخذولاً كان يتسلل ضوء القمر، عبر كوة مستقرة فى سقف الحجرة الطينية ذى العروق الخشبية النخرة، وأعواد البوص الجاف صانعاً بركة من الضوء المشوب بظلال رمادية، يغرق فيها إخوتى الصغار بأجسامهم النحيفة، ووجوههم الشاحبة وأسمالهم البالية فيما وقفت أمى بجوار رأسى فى محاولة منها لإيقاظى لكى أرافقها إلى السوق لبيع بقرتنا الوحيدة، والتى كان قد اشتراها أبى رحمه الله منذ سنوات وساهمت - من وجهة نظرى - بقدر وافر فيما نحن فيه من خير... لذلك كنت دوماً أرفض بينى وبين نفسى فكرة البيع هذه ولكن كانت سطوة أمى وجبروتها يصنعان سداً من الصمت البارد بينى وبين البوح بالرفض ويصبح كل ما فى وسعى هو المراوغة وتأجيل مسألة الذهاب إلى السوق متعللا بالمرض مرة وبانشغالى بالمذاكرة مرات، وأعتقد أن أمى بفراستها المعهودة قد تيقنت من مراوغاتى هذه وتأكد لى ذلك بجلاء عندما ركبت رأسها فى ذلك اليوم وأصرت على إيقاظى مبكراً بادئة يومها على غير العادة بفتح النافذة بعنف لدرجة أن وقع ارتطام ضلفة النافذة الخشبية

بالجدار قد اخترق رأسى الصغير، ورسم علامات الفزع على كيانى كله، وسرت البرودة فى أوصالى، كما اتسعت بركة الضوء فى أرضية الحجرة، وبدت لى بوضوح البراغيث السمينة، وهى تتقافز فى نشوة محمومة على أجساد أخوتى، ولم تكتفى أمى بفتح النافذة بل مدت يدها بضراوة وسحبت البطانية الحمراء المخروقة من فوقنا وكورتها وألقت بها، فحلق طائر النوم بعيداً عن عيونى وقلت لنفسى لا مفر ونهضت مسكوناً بروح الهزيمة، وبأعين مغبشة ببقايا نعاس مددت يدى وتناولت كوز المياه ووضعته فى الحلة النحاسية الكبيرة حتى امتلأ وعلى عجل، غسلت وجهى بينما جلست أمى على الصندوق الخشبى القديم وبيدها مرآة مشروخة، وأخذت تعدل من هيئتها بادئة بفك الطرحة السوداء، والتى كانت قد عصبتها منذ وفاة أبى على جبهتها - كتعبير عن الحزن - فتحركت خصلات شعرها الليلى بحرية، وأخذت نسمات الفجر الطرية المتدافعة عبر النافذة فى مداعبته، فبدت كشجرة صفصاف ساعة العصارى، ثم أمسكت بصرة الكحل وأخذت تبلل إصبعها السبابة وتغمسه فى الصرة ثم تضعه بعناية فى عينها ولما انتهت من الاكتحال، مدت يدها مرة أخرى، وأمسكت بالطرحة السوداء ولفتها حول وجهها، ثم ثبتتها بدبوس صدئ من أسفل ذقنها، فعادت غربان التجهم مرة أخرى تعشش فى وجهها وبلهجة حادة أمرتنى أن أدخل إلى الزريبة وأفك

حبل البقرة، وفى دقائق كنت فى وسط الدار والبقرة تتهادى من خلفى فى وداعة ظاهرة، ناولت الحبل لأمى وأمسكت بعود البوص الإفرنجى سائراً خلف الموكب الذى اجتاز بسرعة حوارى العزبة المغسولة بالهدوء والصمت حتى أصبحنا على مشارف ترعة «الفؤادية» وعلى أول الطريق الترابى الذى يربط العزبة بالسوق، وهنا توقفت البقرة بحكم العادة، لأنها تعودت طيلة وجودها عندنا أن يستعيرها العمدة الكبير، ومن بعده ابنه العمدة الصغير لتشغيل الساقية... حاولت أمى سحبها إلى الأمام، ولكن البقرة رفضت المسير، وكانت أرجلها قد غرست فى أرض موحلة، وبناءً على أوامر أمى أخذت ألهب ظهر البقرة بعود البوص الإفرنجى والبقرة لا تبالى وتعود إلى الوراء حتى تهشم العود فى يدى والبقرة مصرة تماما على عدم الحركة للأمام... فى هذا الوقت كان عمى «آدم خميس» تاجر المواشى قادماً فى اتجاهنا راكباً حمارته البيضاء البدينة، وعندما شاهد ما نحن فيه نزل مترجلاً حتى وصل إلينا وبصوته الذى يشبه فحيح الأفعى قال «حاسب ارفع ايدك... سيبوها على راحتها» ثم أمسك برأس البقرة وفك خطامها التيلى الناعم واستبدله بخطام آخر مصنوع من السيسل الخشن وأحكم لفه حول قرنيها رابطاً إياه حول أذنها الشمال ومد يده بالجزء المتدلى من الخطام إلى أمى قائلا لها «اسحبى كده» فتحركت أمى ومن خلفها البقرة فى سلاسة

تامة... عندئذ كان الإرهاق يفرد جسده الثقيل على كيانى الهش وعصافير الجوع تصرخ فى معدتى الخاوية، فأشفقت علىّ أمى وتوسلت إلى عم آدم أن يركبنى خلفه وعلى مضض وافق وهو متأفف، ولما كان التعب قد إلتهم قواى فمددت يدىّ وأمسكت بظهر الرجل فنهرنى بشدة قائلا «اسند نفسك» فوضعت يدى على كفل الحمارة ورحت أسلى نفسى بتأمل تكوين الرجل الخرافى بدءً من رأسه الضخم مرورا بكرشه الذى يزاحم الفضاء حتى رجليه الطويلتين كنير محراث بلدى، ولم ينتشلنى من حال التأمل هذه سوى رائحة الفطير المشلتت التى اقتحمت خياشيمى عندما فتح الرجل منديله المحلاوى الكبير وأخذ يزدرد ما به من فطائر بعد أن يغمسها بقطعة من الجبن القديم، فيما أخذ لعابى يسيل ولم يأبه الرجل بنظراتى إليه، بل انتهى من أكله ونفض منديله وأخرج علبة الدخان ولف سيجارة وأشعلها وأخذ ينفث الدخان من منخاريه الواسعين، فى هذا الوقت كانت أصوات عالية متداخلة غير مميزة تخدش حياء السكون وتصل إلى أسماعى فأدركت أن السوق قد اقترب وما هى إلا خطوات وكنا فى جوف السوق وفى ركن قصى وقفنا فى انتظار الفرج ويمر الوقت ثقيلاً، وتؤلمنى معدتى وأتوسل إلى أمى أن تشترى لى ما يملأ خواء بطنى فتنهرنى بشدة قائلة «اسكت يا وش النحس» حتى ضربتنا الشمس بسهامها الحادة، وبدأت أمى تفقد الأمل فى

البيع واتضح لى فى ضوء الشمس كم بقرتنا هزيلة عجفاء وكم هى ليست مغرية بدرجة كافية ورحت استرجع كيف وصلت بقرتنا إلى هذه الحالة الفريدة من البؤس؟ عندما أرهقناها فى العمل الشاق فى حقلنا وحقل العمدة ولم نحرس برسيمها الذى كان يسرقه أنفار العمدة من أمامها ويضعونه أمام مواشيهم إيثارا للراحة وعدم العناء، ولم نفكر يوماً فى الذهاب بها إلى الوحدة البيطرية!!! ولم يرفعنى من وحل الاسترجاع سوى ذلك الرجل ذو الملابس المبرقشة بالدهن والدماء، والذى يبدو للوهلة الأولى أنه جزار حينما أقبل علينا، ومع أول فصال سلمته أمى حبل البقرة داعية له بالربح، وأسقطت رزمة النقود الورقية فى جيبها العميق، فيما كنت أنا أمضغ حزنى وجوعى وأشياء أخرى مريرة...

الفائز السابع
(لا لا)

د. وفائى محمود حجازى



بوتاستان.. أرض الإله بوتا ساكن دير الشمس أعلى جبال الهيمالايا.. نسيها الزمان فمازالت تعيش جهالات الماضى ووثنيته.. تؤمن بالإله بوتا وديانته وتسجد لحاكمها ابن الإله السلطان بوتاسا، ونسيها المكان فلا أحد يعرف أين هى على ظهر الأرض؟ ونسيتها وكالات الأنباء إلا أخيرا.. عندما أذاعت خبر ثورتها المفاجئة على الإله ابن الإله.. ليس كحدث له دلالته.. إنما كطرفة من طرف «صدق أو لا تصدق».

ولما كنت وقتها فى جولة بدول جنوب شرق آسيا ممثلاً للوكالة الدولية لشئون الإنسان.. لذا قررت أن أزورها بعد قضاء مهمتى لأشاهد واسمع لما جرى.

فى عاصمتها «بوتان» كان لابد أن أقابله لأعرف منه وأفهم.. وكانت مع زوجته تترجم بين الإنجليزية والبوتانية.. بدأت بقولى «مضى شهران منذ ثورتكم على الإله السلطان ابن الإله المعبود.. وما زال يحيرنى سؤال أرجو أن تجيبنى عليه.. فى ديانتكم هل يثور العبد على الإله المعبود؟» رد «ولم لا.. كما قد يغضب الإله على عبده

فيقضى عليه.. قد يثور العبد على الإله فيكفر به!!» عدت أسأله «ومتى يثور العبد على المعبود؟» قال فى تأكيد «إذا تحول المعبود إلى صنم لا يحس بعبده.. أو إذا انحرف أو ظلم!!.. أعرف ما تهدف إليه.. ولكى تفهمه أشرحه لك.. الشعب.. أى شعب.. لكى تحكم قبضتك عليه أما أن تستعمل معه الإرهاب.. أو الدين.. أو تمزج الاثنين معا فيكون الإرهاب الدينى.. وهو نظام الحكم البوتوقراطى الذى ثرنا عليه.. حكم الإله المعبود.. فالسلطان يختاره الكاهن الأعظم للإله بوتا من المواليد الذين يولدون وبين أكتافهم خاتم الإله.. شامة حمراء لها خيوط سوداء.. فيحتجزه فى دير الشمس يربيه على الديانة البوتية ومزاميرها.. ثم يدفع به إلى السلطة وقت الحاجة الى سلطان ليحكم بصفته ابن الإله.. أوامره وطلباته توجيهات إلهيه ينفذها «مجلس نظار تنفيذ التوجيهات المقدسة» ويتلقاها الشعب فروضا إيمانية يجب عليه أن يؤديها بالطاعة والشكر وتأكيد حبه بأن يوزنه بالذهب كل ثلاث سنوات فى عيد ميلاده السماوى «توقف برهة لكى استوعب كلامه ثم تابع» أحكى لك القصة..

* * *

عندنا حكمة تقول إن الإنسان يقضى حياته فى تهويمة الغفلة.. إن صحا منها عاش.. وإن سحبته إلى موات الرتابة .. مات.. وإن كان ما يزال يتنفس ويتناسل. وهكذا صحا السلطان بوتاسا فجأة!!.

كان يقف خلف زجاج نافذة غرفة المعيشة يقضم حبات الكريز السابحة فى كأس شمبانيا يرشفها على مهل.. وبصره سارح فى ملل مع حركة السحاب المحيط ببرج قصره العالى.. نفس المنظر.. نفس السحاب.. كل يوم.. كل دقيقة .. لا انفتق السحاب فرأى الأرض وما تحتها.. ولا انزاح فتمتع بزرقة السماء وما فوقها.. فجأة اخترق السحاب طائر من طيور الأوز الأسيوى كأنه صاروخ موجه إليه.. ثم وقف قباله على عتبة النافذة من الخارج بأجنحته الذهبية ومنقاره الأحمر.. وراح يتنطط ويتطاير ويعود ثانية إلى موقفه.. يخيل إليه أنه يلاعبه ويغمز له متباهيا بحريته فى انطلاقاته.. وأعجبته اللعبة وفتنة الطائر فمد يده يمسكه.. لكنها ارتطمت بالزجاج.. حاول أن يفتحه فاكتشف أنه سطح فى جدار الغرفة.. بلا مقبض ولا مصراع.. وتعجب لهذا الاكتشاف فراح يدور على باقى النوافذ .. نفس النظام، كلها نوافذ صماء تدخل الضوء ولا تدخل الهواء.. فالغرفة معقمة مكيفة معزولة كأنها سجن بلا قضبان.. عندئذ صحا «بوتاسا».

تسمر مكانه يتأمل ما حوله فى دهشة.. عشر سنين منذ أحضروه ابن السادسة عشر من دير الإله بوتا وأسكنوه القصر العالى وقالوا له كن السلطان الإله ابن الإله.. عشر سنين وهو حبيس ذلك المكان أعلى السحاب فى جو معقم حفاظا على حياته لا يختلط

إلا بخدمه وجواريه ونظار «مجلس تنفيذ التوجيهات».. وسيما بريئا لا يدرى شيئا عن الحكم الذى راحوا يسحبون بساطه من تحت قدميه بدعوى أراحته من عنائه وتحمل مسئوليته عنه ولاءا منهم وحبا.. فالإله لا يحكم ولكن يتأله!!.. وحتى يلهوه شغلوا نهاره بأجهزة التليفزيون وفضائياتها.. وملأوا لياليه بألعاب التسلية والقمار ومهرجانات وحفلات فرق الرقص والتمثيل العالمية واشبعوا غريزته بحسناوات الجوارى الروسيات والفليبينيات.. إلى أن استطاب واستكان ونام.. لا يهمه الحكم الذى تولوه.. ولا الناس الذين أقنعوه أنهم عبيده يعيشون من فيض بركاته الإلهية أغنى شعوب المنطقة.. الفلاح يزرع الحب ويحصد الذهب.. يشرب الماء المعدنى المعقم ويسكن القصور المكيفة.. العامل أنشط العمال الأسيوية وأعلاهم أجرا.. الموظف طاهر اليد يقضى حوائج الناس فى سرعة وأمانة.. الجندرمة فى خدمة الشعب حقا فمراكز الجندرمة فى الأحياء خدمة ثلاث نجوم.. والسجون فندق خمس نجوم ومع ذلك فهى خاوية.. فالشعب بلا مشاكل.. راض وقانع سعيد.. يعيش جنته فى حياته.. وليس كشعوب الديانات الأخرى، لا ترى جنتها إلا بعد بعثها من موتها.. صحيح هناك شرذمة تسمى «حركة لا لا الشعبية» لكنها هوجة غوغاء لا حركة ثوار.. ولا ضرر منها ولا ضرار.

فجأة صحا واكتشف أن هذا كله لا يساوى متعة أن يمد يده

خلال النافذة يتحسس الرياح ويتلقى حبات المطر ويمسك السحاب ويلاحق الطائر فى سـمـاه ويتنفس الهـواء الطلق النقى لا هواء المكيفات.. ولكن كيف؟ فى ثورة صحوة رمى بكأس الشمبانيا إلى الزجاج يحطمه لكن الكأس تناثر بددا.. فالزجاج مسلح.. حتى الزجاج سلحوه لتكتمل صورة السجن حوله.. وزادت ثورته فراح يرمى كل ما تطوله يداه إلى النوافذ وهو يصرخ ويبكى.. لم يدهشه أن يبكى الإله ابن الإله.. فقد اكتشف فجأة فى صحوته أنه .. بشر.. وأنهم أعطوه كل شىء.. وسلبوه أهم شىء .. حريته !!

* * *

طبيب القصر قال : «انهيار عصبى مفاجئ نتيجة تراكمات نفسية من عزلة وتوقف جسمه عن الحركة.. علاجه الرياضة خاصة المشى والجرى فى الهواء الطلق حتى يستعيد توازنه».

هم قالوا : «البلد كلها الآن تعيش فرحة عيد ميلادك وتستعجلنا ميزانك الذهبى».

أما هو فقال «لن أهدأ حتى أخرج من هذا السجن.. أطير فى السماء كهذه الطيور.. أمشى على الأرض كما يمشى البشر «ردوا عليه : «لكنك إله ولست كأى بشر.. والإله يعيش فى السماء ولا ينزل الأرض». قال : «وهل سقف هذه الحجرة سماء تصلح لإله؟ ثم كيف أكون إلهاً ولا أعرف عن عبيدى شيئا.. أريد أن أباشر معهم مهامى

كإله .. أهبط إليهم.. أراهم.. أرى فى عيونهم حبهم لى الذى يتغنون به كما تزعمون أسمع هتافهم ودعاءهم من فرط سعادتهم بعبوديتهم لى.. ألمس هذا النعيم الذى تقولون أنه من فيض بركاتى عليهم.. فما أسعد الإله أن يرى أثر نعمته على عبيده».

أخيرا بعد اجتماعات ومشاورات سمحوا له أن يتريض فى حديقة القصر لكن فى حراسة حتى لا يتجاوزها وليلا حتى لا يراه أحد.

* * *

ونزل الحديقة يجرى ويضحك فى طرقاتها كأنه طفل غرير ويداعب حراسه الذين أحاطوا بخطواته يحددون مساراتها.. لكن بعد ليال ضاق بهم فراح يحاول أن يبتعد عنهم فى محاورات عبثية خلال مماشى غير مطروقة.. انتهت به مرة أمام باب خلفى نام حارسه. استكمالا لعبثه عالج الباب فانفتح فجرى خارجا.. إلى أين؟ وماذا بعد؟ أسئلة تلاشت فى صدى ضحكاته وهو يستكشف دنيا بلده التى لن يرها من قبل.. ظل يجرى ويملأ صدره بنسيم الفجر ويملأ عينيه بمناظر البيوت والشوارع والزينات والكهارب المضاءة وأقواس النصر ولافتاتها ويشعر بالسعادة والرضا وهو يقرأ ما كتب عليها «عيد ميلا سعيد يا ابن الإله» بالروح بالدم نفديك يابوتاسا».. فعلا إن الشعب يحبه.. وأن البلد فى عيد.

* * *

فجأة اعترض جريه حشد من الناس يمشون متماسكى الأيدى ما لبثوا أن تحوطوه وجرفوه معهم فى تيارهم فراح يسير وسطهم مستمتعا بتلك المغامرة.. ولكن.. سأل جاره : «إلى أين؟» قبل أن يجيبه دوت هتافاتهم تخترم سمعه فى عنف «يسقط الظلم والطغيان» «لا ذهب ولا ميزان بعد الآن».. رد جاره : «إلى قصر السلطان.. نرفع شكاياتنا من ظلم توجيهاته المقدسة بوزنه بالذهب.. من أين ؟ .. والشعب لا يجد حتى التراب يأكله!!» ثم لكزه صائحا «اهتف معنا.. يسقط الظلم والطغيان».

فوجئ.. حاول أن يتوقف فلم يستطع وإن توقف تفكيره لهذه الصدمة.. كيف وقد أخبروه أن الشعب هو صاحب فكرة الميزان تعبيرا عن حبه وسعادته؟ ثم كيف يتصرف؟ كيف يخرج من هذا المأزق ويعود إلى قصره سليما كريما؟ قبل أن يتحرك ظهرت سيارات الجندرمة تحاصر المسيرة وتنزل إليهم عساكرها برشاشاتهم وعصيهم تحصدهم وتضربهم بقسوة.. كان نصيبه ضربتين على كتفيه قبل أن يحشروه مع من أمسكوهم فى إحدى السيارات بينما امتلأ الشارع بجثث الصرعى والمصابين.

فى أحد مراكز الجندرمة رأى على باب يافطة «الجندرمة فى **خدمة الشعب» فاطمأن** واستبشر خيرا بخدمة ثلاث نجوم بعد هذا **العناء وأنهم قطعا سيعتذرون** له بعد أن يكشف لهم عن شخصيته ..

لكنه وجد نفسه مزنوقا ضمن الحشد فى حجرة ضيقة.قذرة وقوفا أمام عسكرى كالخرتيت يستجوبهم بين ركلات وصفعات باقى الجندرمة.. بعد زمن طال جاء دوره فسأله العسكرى: «اسمك وعنوانك» بكل ثقة أجاب : «السلطان بوتاسا.. احنا ناقصين السكارى كمان» وهوى بيده على قفاه فصفعه هادرا «دى لك عشان تفوق يا سكران» ثم صفعة أخرى «ودى للسلطان عليه اللعنة فى كل مكان.. خدوه للحجز ولا لمستشفى المجانين» وسحبوه وهو يتحسس قفاه من قسوة الصفعتين.. أول مرة يصفع .. وأول مرة يكتشف .. أن له قفا.

انقضى النهار واقفا فى حجرة الحجز.. لا مقاعد ولا أكل ولا شرب.. ولا مجارى.. محشور وسط أجساد ألصقها العرق النتن وصهرتها الأنفاس الحارة المتصاعدة مع آهاتهم وشكاياتهم من ظلم السلطان لهم مصحوبة بلعناتهم عليه.. وهو فى هذا الجحيم يكاد ينهار جسده بعد أن انهار كبريائه مما سمع.. الغريب الذى تعجب له أن الحاجز النفسى والقلبى بينه وبين الناس حوله الذين يلعنونه بدأ ينهار من صدق وبشاعة ما يحكونه.. راح يستمع إليهم بل ويسألهم ويستزيدهم بفضول الدهشة وبألم وندم.. وبلا غضب.. كأنما هذه المرة ضميره هو الذى صحا.. جاره. الذى يلاصقه همس فى أذنه «ابشرك رجال» اللا لا «سيهاجموهم ويطلقون سراحنا».. فى هدوء

الليل قامت المعركة.. بالرصاص والعصى.. كان نصيبه ضربه على رأسه فجرت الدماء من نافوخه وأسقطته فاقد الوعى.

* * *

فتح عينيه ليجد نفسه ممدا على سرير أبيض فى حجرة قذرة بها بعض الأسرة المتهالكة رجح أنها مستشفى.. ووجد حوله امرأة شابة وبعض الرجال وطبيب ينهى فحصه لحالته قائلا : «ارتجاج شديد بالمخ» ثم التفت إليه متعاطفا «حسنا أنك أفقت.. ما اسمك يا صاحبى.. مهنتك عنوانك» أجاب فى وهن: «بوتاسا.. السلطان.. القصر العالى» تباسم الطبيب وهو يضيف لهم «واضح أنه مع الارتجاج يعانى من فقدان تام للذاكرة!!».

* * *

قال لها «أين أنا؟» أجابت حانية «فى منزلى.. قبل أن تستعيدك الجندرمة من المستشفى اختطفناك فأنت تعرف أهمية مركزك فى الحركة «سألها متعجبا» أية حركة؟ أخبرتكم مرارا أننى السلطان «قالت فى رثاء» يا مسكين أنت «اللاهون».. زعيم حركة «لا لا» للمقاومة الشعبية وقائد تلك المسيرة بشحمه وعظمه وملامحه وشخصيته.. وإن كنت لم تعد تعرف نفسك فكيف لا أتعرف عليك وأنا «لا لا» خطيبتك ورفيقة كفاحك «قاطعها» بل أنا فى كامل وعى.. أنا السلطان بوتاسا قالت فى ضيق: «السلطان.. السلطان.. إن كنت

مصرا على دعواك لماذا لا تترك ضيافتنا وتعود إلى قصرك يا مولاى وأنت الآن فى تمام عافيتك؟!».

نظر إليها دهشا كأنما نبهت كلماتها ضميره الذى صحا.. قطعا سيعود إلى القصر.. لكن ليس الآن.. ليس قبل أن يرى الصورة التى فاجأته بكل أوجهها وأبعادها.. ليس قبل أن يعرف السبب فيما أصابها من تشويه.. لقد أقنعوه أن الشعب يحتضنه فى قلبه فإذا الشعب يفاجئه أول ما ينزل إليه.. باللعنات.. فلماذا؟». سألها محبطا كمن يسأل نفسه : «لماذا لا يحب الشعب سلطانه؟» قالت فى تأكيد: «لكى يحب الشعب سلطانه يجب على السلطان أولا أن يحب شعبه وأن ينزل إليه يتفقد ويدرس أحواله.. عشر سنين لم نره بيننا ولم نعرفه إلا من صورته التى يرهقون بها أعيننا فى التليفزيون صباحاً ومساء وإلا من توجيهاته الظالمة التى يرهقون بها حياتنا «قال مدافعا» لكن.. ألا يجوز أن السلطان لم يصدر تلك التوجيهات ولم يعلم عنها شيئا.. لم يحاسبه الشعب على من يتكلمون ويتصرفون باسمه؟».

قالت «السلطان الذى يترك حكم شعبه لمعاونيه لا يستحق أن يكون سلطانا» نظر إليها معجبا وهى تتكلم بحماس .. أعجبه ذكاءها وشخصيتها كما أعجبه جمالها الوقور.. فاجأها سائلا «من أنت؟!!» غامت عيناها وراء سحابة من دموع ثم قالت فى حزن «أنا «لا لا»

سمانى أبى باسم الحركة التى أسسها دفاعا عن الشعب مما يعانيه من فقر واستبداد فأحرق السلطان أرضه وصادر أمواله وقتل أولاده الثلاثة ثم رموه بالرصاص.. بعده كادت الحركة أن تموت هى أيضا لولا أنت يا «اللاهون» لما توليتها.. ماذا قررت؟ «أجابها وهو يحتضن يدها: «سواء كنت هذا أو ذاك .. فلا أحب أن أبعد عن الشعب.. ولا أن أبعد عنك».

* * *

ومضت أيام وهو مصمم أن يمضى فى تلك المغامرة ... تلك الدنيا الجديدة التى أحس فيها أنه بدأ يعود إلى إنسانيته فراح ينزل إلى الشارع يتحسس نبضه ويسمع آناته.. أو يجتمع بزعماء الحركة يتدارس متاعب الناس وأسبابها وهو فى كل هذا يسجل ويختزن معلومات تفيده عند عودته إلى القصر فى محاسبة الذين استغلوا اسمه فى قهر الشعب وظلمه.. إلى أن جاءته يوما منفعلة «أعلنوا أن السلطان أناب رئيس النظار ليوزن مكانه فى ميزان الذهب المحدد له غروب شمس آخر الشهر فى الميدان الكبير حيث يجمعون الناس قسرا من كل أنحاء البلد» ثم أضافت بحماس «فرصة يجب أن ننتهزها ونقلب تجمع الناس على رأس ذلك الطاغية.. لابد أن نتحرك بسرعة..ننزل إلى القرى والنجوع نعبئ كوادر الحركة والشعب» سألها «ثورة؟» قالت يا ليت لكن من أين لنا السلاح.. ستكون

انتفاضة.. صيحة غضب علها توقظ الغفلان.. ليس ضروريا أن تخطب فيهم كما كنت تفعل قبل إصابتك.. مجرد وجودك سيلهب حماسهم فأنت «اللاهون» الرمز والقائد الذى يجمع شملهم.

* * *

ونزلا إلى الناس فى كل مكان ورأى فى القرى والمراكز فقراً ودناءة معيشة أبشع مما رأى فى العاصمة ووضعت الخطة باحكام.. وجاءت الليلة الموعودة.

* * *

قالت وهى تستعد للخروج «الناس جمعوهم فى الميدان منذ الصباح.. وكل واحد من رجالنا أخذ مكانه فى انتظار حضورك لتقود المسيرة.. ولكن .. ماذا بك؟ مريض ألا تريد؟!» أجاب فى حرج «جاء الوقت الذى أصارحك فيه بالحقيقة.. أننى فعلا السلطان ولست اللاهون «وهذا خاتم الإله بوتا انظريه بين كتفاى» ومد يده ينزع ثيابه لكنها أعادتها ثانية وهى تفاجئه «أعلم أنك السلطان.. ومن أول يوم» سألها دهشا «كيف؟» أجابت «بعد المسيرة التى اشتركت فيها أحضر رجالنا جثث شهداءنا التى شوه معالمها رجال الجندرمة فلم نتعرف على أحد منهم لكنى اكتشفت جثة «اللاهون» قائد المسيرة من خاتم فى بنصر يده اليمنى كنت أهديته له.. وتكتمت الخبر عن الرفاق إلى أن أتدبر الأمر.. فلما أخبرونى أنهم عثروا على من ظنوه

«اللاهون» وهو أنت فى المستشفى فاقد الوعى أسرعت إليك وفى غفلة منهم كـشـفت عن ظهـرك ورأيت الخـاتم وعـرفت أنك السلطان.. فاللاهون كان قد حدثنى أنه ولد توأم وأن أمه أخبرته أن كهنة المعبد وهم يعمدون أخاه اكتشفوا الخاتم بين كتفيه فاحتجزوه فى الدير يربونه ليكون سلطان «صاح بها» ولماذا لم تصارحينى بالحقيقة بعد ما أفقت لماذا جعلتينى أعيش طيلة هذا الوقت مزدوج الشخصية؟ أكاد حتى أكذب نفسى فى حقيقة من أكون؟» قالت «لصالح الحركة أولا.. فاللاهون» يجب ألا يموت وإلا انفض الرجال وخسر الشعب المعركة.. ثم لما رأيت فيك طيبة الإنسان أردت أن تطول إقامتك بين شعبك المطحون فمصلحتك كسلطان أن ترى وتسمع عن الخطايا التى ترتكب باسمك وأنت غافل عنها.. يبدو أنك قررت ألا تشترك.. خسارة أن تخذلهم وغيابك قد يفشل الخطة «وانصرفت غاضبة وتركته محيرا.. أيعقل أن يقود السلطان انتفاضة ضد السلطان؟!.. لقد أحب الشعب وتعاطف معه ولابد أن يجد طريقه لينقذه من جلاديه.. ماذا لو يعود تلك الليلة إلى القصر فيباغت نظار المجلس ويعتقلهم ويخرج إلى الشعب يستقبل مسيرتهم ويبشرهم أنه سيطهر الحكم ويرفع الظلم؟ ولمن؟ ألا يحتاج إلى قوة تسانده لكى يهدم النظام بأكمله.. من أول الإله بوتا والكاهن الأعظم وحكم المعبود والعبيد إلى نظار السوء ومصاصى دماء الشعب.. ومن أين له القوة؟

.. الجيش.. الجندرمة وقوادهم من كهنة المعبد الذى يريد أن يهدمه.. من أين؟ هاتف كالإلهام.. الشعب.. الشعب قوة لو استعان به وبفدائيته لتغلب على هؤلاء الزبانية.. ولكن كيف؟ .. كيف؟ .. قطع تفكيره دخول «لا لا» عليه وهى تبكى تكاد تنهار تصيح فيه «غيابك يكاد يفشل الخطة.. انصرفت أعداد كثيرة لما لما يروك.. وساد الهرج وعدم النظام.. الكل يطالب «باللاهون».. أرجوك.. من أجل الشعب الذى أحببته وتريد انقاذه.. كن «اللاهون» الليلة فقط.. بعدها كن ما تشاء وسحبته من يده وهى تجرى.. وطاوعها يجرى معها بحماس لقد تحقق إلهامه.. وستكون ثورة لا انتفاضة.

عندما رآه الناس عاد من انصرف وتجمعت والتحمت حوله صفوفهم ينادون «اللاهون اللاهون» ثم رفعوه على أكتافهم يهتف بهم «لا عبيد ولا معبود بعد الآن» «يسقط الظلم والطغيان» يكررها وترددها حناجرهم حتى اشتعل الميدان بنيران حماسهم.. لكزه الذى يرفعه على كتفه صائحا به «اهتف أيضا يسقط السلطان».. توقفت صيحاته وأنفاسه دهشه.. أيعقل.. ولما لا.. ألا يحاسب الإنسان نفسه على خطيئة أمرته بها.. فيلومها أو قد يلعنها .. وهو الآن وقد خلع عنه رداء السلطان واختار أن يكون بوتاسا الإنسان ابن الشعب.. ألا يجب أن يحاسب نفسه على السلطان الذى كانه وأن يسقطه من على كتفيه ويلعنه ويلعن حكمه الذى أذاق شعبه الهوان.. ولم يتردد..

انطلق يصيح «يسقط السلطان يسقط السلطان.. الثورة الثورة يا «بوتاستان».

* * *

بعد أيام فى إحدى قاعات القصر قال لها «أذهب لأحضر مجلس قيادة الثورة.. أظن حان الوقت لأخبرهم أننى السلطان ولست «اللاهون» «سألته فى خوف» وهل لابد.. دعهم فى فرحة انتصار حركتهم بقيادة اللاهون» أجابها «لا أريد أن أبدأ عهدى الجديد معهم بكذبة.. خاصة وقد تأكدت أنهم سينصبونى سلطانا «جذبته فأقعدته جوارها تعانقه وهى تقول «لكنى لا أحبك أن تكون السلطان» سألها دهشا «ولم؟» ردت «لأنه لا يفسد السلطان إلا السلطان.. لقد اكتشفت وأحببت فيك الإنسان النقى الطاهر وأنت تلبس رداء السلطان الذى لا يحكم.. وأخاف أن أفقدك إذا ما مارست الحكم بجاهه وسطوته» عاد يسألها «ومن يحكم الشعب إذا» أجابت «لا يحكم الشعب إلا الشعب .. دع الشعب ينتخب حاكمه من أفراده ليكون تحت وصايته ورقابته.. أما أنت فستظل دائما لهم اللاهون القائد وبوتاسا الإنسان والأب الروحى وحارس المسيرة من أى انحراف أو انتكاسة» قال وهو يحضتنها «كنت أحلم أن تكونى سلطانة عرشى كما أنك سلطانة قلبى» قالت وهى تقبله «يكفينى أن أكون عبدة فى مملكة حبك» سألها ضاحكا «ألم نلغ العبودية؟»

أجابت «الحب غير الحكم.. يا سلطانى ومعبودى».

* * *

قلت للمترجمة وأنا ألملم أوراقى «وكيف حاله الآن بعد شهرين من الثورة؟» قالت وهى تحتضنه «لم ولن يتغير.. سلطانى ومعبودى».

الفائز الثامن

الزيـــــارة

د. محمد مجدى محمد أبو المعاطى



القرية.. الرحلة.. عم المتولى.. عظم التربة.... الطريق كما قيل مرصوف حديثا لكن أى رصف وأى طريق! الطريق على حرف الترعة والعلامات البيضاء أشباح باهتة والمنحيات شديدة وخطرة.. والمفروض المفروض عند المنحنى أن تكون الجهة الخارجية من اللفه أعلا... لكن هنا... هه..... هذه الرحلة تبدو أنها لأجل خاطر عم المتولى لكنها فى الحقيقة عمل بحت.. بزنس.. مائة فى المائة.... عم المتولى كان دائماً عطوفاً وهادئ الطبع وكان يحمل أسبته الخبز الريفى والفطير المشلتت و(القرص) اللينة تذوب تحت الأضراس وكان يتحدث قليلاً عندما تسأله أمى ويفهمها شيئا من شئون القرية.. ثم يصمت... ينتظر أبى حتى يرجع من الوزارة ويتغذى معنا بعد إلحاح أبى وأكله قليل ويشرب شاياً وأبى يروح ويجيئ.. سعيد بزيارة عم المتولى الذى يأخذ (السبت) الفارغ ويستأذن فى العصرية.... وبعد رحيله تقول أمى لـ أبى : طيب.. المتولى .. أخوك....

عند رأس الكوبرى.. الغرزه لا زالت كما هى.. كوتشينه وشاى

ومعسل والحشيش فى الليل.. لف عجلة القيادة وانتبه الفلاحون للسيارة الجديدة تتهادى كالبطة.. رفع يده بالتحية وعبر الكوبرى.. نزل الطريق على مهل.. طين وقش وروث بهائم والترعة التى مر بها... تذكر عبد الحليم حافظ.... رحل عبد الحليم وكأنه حلم من الأحلام... تمثال رخام ع الترعة و.. أوبرا... لكن الترعة كانت كما هى دائما عندما عبرها بالسيارة من فوق الكوبرى.. حشائش وأعشاب برية وأشجار جميز وصفصاف وكافور والتوته العتيقة هناك وبلهارسيا قابعة فى الأعماق وصبيان عرايا ملط يستحمون ونسوة يغسلن المواعين والثياب وطلبة مدارس يمسكون الكتب ويروحون ويجيئون....

القرية.. عم المتولى.. عظم التربة.... فقير جدا عم المتولى هذه الأيام.. يشحذ... أولاده واحد فى العراق منقطعة أخباره ولم يرسل له شيئا والثانى مات فى غارة جوية على جبل (عتاقة) أثناء الثغرة.. والابن الأكبر - الفلاح - مريض جداً.. طحال متضخم.. كبد متهرىء ونزيف دائم.. و.. (محاسن) زوجة عم المتولى وأفضل من ترقق فطير مشلتت فى القرية نحيفة بشكل مخيف ومنكسرة.. تضحك كعادتها لكنها هذه المرة تضحك مغتصبة الضحكة من قلب العتمة... والأحزان... يا الله... ما كل هذه الأحزان يا محاسن ويا عم المتولى؟.... تغيرت الدنيا وأنا فى الخارج أقاتل أولاد الكلب فى

بلاد الغربة .. إهانات مستمرة وخبث وحقد وحسد... مات أبى ولم أره لكنى - والحق يقال - أصبحت أستاذاً فى جمع العملة.. آخذها من نن أعينهم أولاد الرمه.. ما حد يقدر فى المصرى.. صحيح أن الكلمة الجارحة تخترق الأذن كالسهم المسموم وأتذكرها حتى وأنا نائم لكن ماذا يهم؟ هكذا كنت أقول لنفسى... سهل الموضوع على نفسك واعتبر عملك مهمة انتحارية.. مات أبى ولم يمد يده ويأخذ مليماً من أموالى فى البنك رغم أن لديه توكيلاً منى.. حتى البدلة الصوف التى اشتريتها له من أفخم محل هناك لم يفصلها ولم يذهب إلى الخياط حتى مات.. تركها وهى قماش فى لفتها وبكى أبى ولأول مرة وهو واقف فى الشرفة يودعنى بنظرة فى أول سفرية.. كم أفتقده الآن.. بعد سبع سنين لازلت أذكر دموعه المخفية يمسحها بكم جلبابه وهو واقف فى الشرفة... تغور الفلوس والدنيا.. آه .. لو كنت بجانبه عندما جاءته الأزمة.... والآن عم المتولى يقول لى لا تبع أرضك يا أستاذنا.. لا تدخل علينا غريب فى الدار.. هذه الأرض اشتراها أبوك بدمه.. جمع ثمنها قرشاً فوق قرش ويوما بعد يوم... وأنت ... يعنى.. لا تؤاخذنى.. مش محتاج فلوسها... خليها يا أستاذ.. نزرعها لك وأعطنا تعبنا .. خلينا (أجريه) عندك.. نشتغل بـ لقمتنا... ماشى.. احنا راضيين بس وحياة المرحوم وعظم التربة لا تبيعها..... وأمى تقول : لا تزعل عمك المتولى لأجل خاطر أبوك..

عظم التربة..... لكن زميلى فى الغربة دكتور (سيد) طبيب الوحدة البيطرية هناك مخه طار عندما نظر الأرض.. الأرض على الطريق المرصوف والقرية قريبة من المدينة وهذه هى الأرض وإلا فلا..... نتركها من غير زراعة.. نبورها يعنى كده مده وبعدين نمشى أمورنا فى الجمعية الزراعية يكتبوها أرض بايرة وخذ عندك.. مزرعة دواجن.. محطة تسمين عجول.. معمل جبنة وزبادى وسمنة ويمكن نتوسع ونشتغل فى اللحمة.. بولوبيف.. هامبرجر.. سجق وكفتة جاهزة وتبقى شركة... أنت بـ الأرض وأنا بالعملة.. السهلة والصعبة.... لكن أول شىء عمك وأولاده لازم يطلعوا م الأرض اليوم قبل بكره....

الدار فقيرة.. دارك يا عم المتولى.. لا جاموسة ولا بقرة، هيه... هذه الرحمة ستضيعنا، مصطفى ابن عم المتولى فلاح ميه ميه.. لا يعرف إلا الغيط وكوب الشاى ويدخل السينما فى الأعياد.. يحضر وقتها عندنا فى المدينة.. يدخل السينما صباحا ثم يتغذى عندنا ويروح.... مصطفى الآن راقد على سرير مجانى فى مستشفى الجامعة.. يجربون فيه جراحات تصل بين الكبد والطحال وبين الطحال والمعدة وأشياء أخرى لا فائدة منها وسيموت مصطفى عاجلا أم آجلا... هكذا يقول عم المتولى ويبكى...

الحرب فى العراق انتهت من مدة وليس هناك خطابات تأتى من

يوسف المتولى إلى القرية وصورة الشهيد (سعد) فى بذلته العسكرية معلقة فى برواز أسود على جدار الطين فى مندرة الضيوف فوق الكنبة....

– يا عم المتولى.. أنا عايز الأرض ضرورى جدا.. وسأعطيك الفلوس اللى (تبغى)....

انتفض المتولى على وقع الكلمة الغريبة القادمة كـ عادة لسان من بلاد الغربة... اهتزت يده وهى تمسك كوب الشاى الباهت.. تحركت شفتاه ولم ينطق كلمة... قالت (محاسن) زوجة عم المتولى : هذا الله وهذه حكمته.... ما تراه ياسى الأستاذ .. ما عاد حدانا كلام.. أمر الله.. نخلى لك الأرض .. حقك.. أرضك وأرض أبوك.... الله يرحمك يا عبد المنعم أفندى... نخلى لك الأرض.. عايزها إمتى؟.... ضاق صدره.. كان قد وطد نفسه على معركة.. نقاش حاد .. كلمات جارحة.. مراوغة شديدة ثم موافقة من تحت الضرس... لكن هذا الحزن اللعين... هذه الهزيمة بدون قتال.. هذا الاستسلام الأبيض يذبحه كالسكين.... طاشت كلماته.. ضاعت.. لم يدر ماذا يقول للشخصين الصامتين أمامه؟ (المتولى) ينظر للأرض المتربة وبيده **عود يحركه.. يرسم أشياء..** دوائر صغيرة يدورها ثم يلغيها... **(محاسن) تنظر للجدار**...... خرج يشم الهواء..... فى الطريق إلى **المقابر غرب الساقية** سكون موحش وشمس غاربة ترنو إليه من

بعيد.. أسراب عصافير عائدة فى رحلة المغيب.. فلاحون يقودون جواميسهم السوداء وصبية يجلسون على أغبطة البرسيم فوق الحمير الفرحة بالرجوع... خضرة تمتد أمام عينيه.. حقول تأتى ثم تنتهى.... شواهد عالية.. قبور بيضاء جديدة مطلية وأخرى قديمة متداعية.. عبر قناة الماء الملتوية.. اتجه إلى قبر أبيض عليه لوحة رخام تلمع.. جلس إلى جانب قبر أبيه على الأرض الجبسية.... الأرض.. الشركة... الهامبرجر.. عم المتولى.. عظم التربة.. خاطر أبوك.. عبد المنعم أفندى.... لو كان عنده وقت ما جاءته الأزمة.. لو كان موجوداً.. لو كان عنده..... أجهش بالبكاء وغشيته الظلمة!

.... *

....

....

الفائز التاسع

يـــوم مـــريم

شريفة على إمام بسيونى

لم تكن أبداً فى عجلة من أمرك، كنت تحثنا على الصبر والتؤدة فلم تعجلت اليوم؟

* * *

كل يوم كنت توقظنى بنفسك، تعلم أنى أحتاج وقتاً حتى أصحو وأفيق، أمى قليلة الصبر، لا تطيق الوقوف فوق رأسى حتى لا أعاود النوم، تقول لها :

– بالراحة على البنت.

تذكرك بالأعمال التى تنتظرها من الفجر إلى العشاء فترد :

– اصبرى يا شامة، ربنا خلق الدنيا فى ستة أيام.

أفتح عينى على ابتسامتك، أسمعك:

– صح النوم يا جميل صلينا الفجر من ساعة.

أراك تحمل قدر الفول المدمس خارجاً إلى الدكان الذى كان، إحدى حجرات بيتنا، أسرع باحضار خضروات السلطة، أغسلها وأحملها إلى الدكان، تترك موقعك خلف طاسة الزيت الذى لم يسخن بعد، تحمل عنى الوعاء، تسبقنى إلى الداخل، تفرد صحيفة قديمة

لأفترشها تضع أمامى الوعاء وتحذرنى من السكين الذى اعتاد جرح أصابعى وأنا أعد السلطة.

أخى «يس» يدع حجر الطعمية بعد ما انتهى من دق الفول، يقول:

– أبوك مدلعك يا عفيفة.

فترد :

– والله عفيفة تعبت معنا بعد زواج وردة.

يبتسم ولا يرد، تعاقبه :

– هات عجينة الطعمية أمامى واذهب لأخوك فى الفرن، أكيد المعلم حسن مأخره.

* * *

انتهى من السلطة تحملها عنى، تعد لى بنفسك سندوتشات افطارى غير مهتم بزحام الزبائن والحاحهم، توصينى بالإفطار قبل الذهاب إلى المدرسة التجارية، ويعلو صوتك مطالباً أمى بأن تصنع لى الشاى سريعاً.

تسمعك فتقول :

– اشمعنى عفيفة اللى لها حظ عندك.

أحاول قضم السندوتش وأقول لأمى دون صوت :

– أحقاً لا تعلمين السبب؟ هو يدلل عفيفة لأنها عرجاء ليست مثل البنات، ليست مثل وردة .

وردة شقيقتى تصغرنى بعامين، من ثلاثة أعوام خطبها «محمد حسين الميكانيكى»، كاد أبى يرفضه، لولا أمى، قال البنت صغيرة، قال له حين تزوجتنى كنت أصغر منها، قال أريد أن أعلمها قالت : البنت مصيرها البيت، قال محمد يدخن قالت : لكن أخلاقه كويسة. سكت فقالت : أنت خايف على زعل عفيفة.

فاستغفر ربه وقال أعمل استخارة أولاً، وبعد ثلاث ليال وافق، فخرجت وردة من المدرسة إلى بيت زوجها.

* * *

اليوم عدت من المدرسة فلم أجد أمى، قلت لى : مبروك يا عفيفة، وردة ولدت.

اصطحبتنى إليها، كنت أسابق الطريق لأصل إليها، تخشى على من عثرات الطريق، تقول :

– مستعجلة ليه.. العجلة من الشيطان.

تعيد وصاياك بالصبر وعدم العجلة، أحمل ابنة ورد، أقبلها، يقول محمد حسين.

– سوف أسميها عفيفة.

ترفض أنت :

– لا .. عفيفة واحدة بس.

تطالبك وردة باختيار اسم للمولودة تقول أن البشارة أتتك وأنت

تستمع فى الراديو للشيخ عبد الباسط عبد الصمد، كان يقرأ سورة مريم، لتكن المولودة مريم، يوافقون، تحملها عنى وتهمس فى أذنها بآيات القرآن، لكنك لا تكمل، يعلو همسك، تصبح قراءتك لهاثا. أخذها لترضعها وردة.

يلومك «محمد حسين» لأنك لم تذهب للطبيب منذ شهر وأنت تفاجأ بالوخزة فتضغط يمناك على القلب وتصمت، نلحظ شحوبك ونطالبك بالذهاب الى الطبيب فتقول :

– الشافى هو الله.

اليوم فاجأتك الوخزة، وطال لهاثك، طلبت جرعة ماء لكنك لم تشربها، كنت توصينا بالصبر فلم تصبر؟

لم تعجلت، ماذا كان يضيرك لو شربت الماء الذى طلبت؟ لو رافقتنى إلى البيت، بيتك ماذا لو بقيت معى؟ ماذا لو..؟

الفائز العاشر

أطول محمود فى التاريخ

محمد عباس على

رأيتها على الجدار.. مستديرة الوجه.. بيضاء.. بخيوط صغيرة مذهبة الحواف.. تحاذيها أرقام أجنبية سمراء اللون، يتألق عليها الضوء. وكان يلهث فوق صفحتها مؤشر نحيل الجسد، يدور فى حلقات دائرية لا تهدأ، معتلياً مؤشرين آخريين، أحدهما بدين الهيئة قصيرها، والآخر أعظم منه طولاً.

فتحت عينّى على اتساعهما.. المفترض فى المؤشرات أن تدور فى اتجاه اليمين، هذه تدور فى اتجاه الشمال!! كانت دقاتها فى ليل الصمت مدوية : تك.. تك.. تك. تتسلقت عيناى سقف الحجرة المزركش بالسواد.. أخذت تتقافز على المساحات الخافتة الضوء، التى تتناثر هنا وهناك بين الحفر والتعرجات، لاحقتها خواطرى وهى تقفز خلفها وتلهث، حملت جسدى من الوضع راقداً على الفراش إلى الوضع جالساً، مسنداً ظهرى إلى مسند السرير، رأيت أفكارى تتدحرج من أم رأسى وتتكور بين عيّنى وتهمس متسائلة بحدة :

«نمت الساعة التاسعة مساء، وعدت تستيقظ فى التاسعة إلا الثلث من مساء ذات اليوم، كيف!!؟» عدت إلى الساعة، رأيت عقاربها

– وكأنها تستفز إدراكى أكثر – تتراقص وتتحرك فى قفزات متناغمة فى ذات الاتجاه.. الشمال!.. تاهت المرئيات عن عينى.. غير أن خاطرة قفزات إلى رأسى.. «وما أدراك أنك استيقظت فى ذات المساء؟».. فتحت عينى تماما.. لقد نمت الساعة التاسعة يوم الخميس الموافق ستة من الشهر، إذن فنحن اليوم حتماً الجمعة الموافق سبعة من الشهر، لن يجلو هذا الأمر إلا التليفزيون. مددت يدى إلى الزر. هرول المذيع بين يدى، متجهم الوجه، واجهتنى عيناه بحدة وهو ينفخ فى أذنى قائلاً :

«الساعة الآن الثامنة والنصف مساء الأربعاء الموافق خمسة من الشهر».

صرخت : لا.

أشاح بيده فى ملل، وتوارى عنى.

*

داخل قفصى الصدرى حملت حيرتى، وانسقت وراء قدمى إلى الخارج، كان الظلام منقوشاً على الأشياء، مبذوراً فى تلافيف الهواء، وضارباً بجناحيه العظيمين الأفق على البعد، غرزت حبتى عينى بين عقربى الساعة فى يدى اليسرى .. الثامنة إلا الربع، أدرت بصراً زائغاً إلى الطريق .. رأيت أحدهم قادماً.. سألته عن الوقت.. الثامنة الا الربع.. سألت آخر.. الثامنة إلا الربع.. طارت قدماى إلى الميدان

الكبير، والساعة الضخمة التى تعلو جامعته العتيقة.. كانت الثامنة إلا الثلث، ملأ الغباء قسمات وجهى.. فتحت فمى كحمار صغير لا يفقه مما حوله شيئا، كان هناك أناس حولى، كائنات متناثرة فى الميدان، يمرون بنفس الحالة، عرفتهم من علامات بدت على الوجوه. اقتربت من أحدهم، سألته: «ما الأمر؟».. أغلق فمه بالكاد، وأعاد بناء تقاسيم وجهه بتعبيرات حسية جديدة، وهمس محاولاً أن يظهر بمظهر اللامبالى بالأمر: «الساعة تسير إلى الوراء».. ارتفع صوت متلهف بجوارى صارخا.. «أنت أيضا!؟» انتبه إلينا بعضهم، انضموا إلينا سراعاً.

كانت ساعة الجامعة العتيقة تشير إلى السابعة ونصف وخمس دقائق، ارتفعت الأصوات فى الميدان.. صنعت مظلة من حروف تائهة لارابط بينها، مالبثت أن تهاوت مترنحة على أسفلت الطريق فى حدود السابعة.

*

رأيت قامتى تقصر وانتابنى الفزع، فى تجويف دماغى رأيت القيامة تقترب، لن يسير الزمان إلى الخلف إلا إذا اختل توازن الكون، ولن يختل توازن الكون إلا اذا اقتربت القيامة. لكن... ما العلاقة بين اقتراب القيامة وقصر قامتى؟

لابد أننى مذنب، وأراد الله معاقبتى فبدأ بهذا، لكن هذا لم تذكره

الكتب، الذى أعرفه أن دابة الأرض ستوسم الناس على جباههم.. «كافر، مؤمن» وسوف يتعارفون وينادى بعضهم بعضاً.. «ياكافر»، «نعم يا مؤمن» وهكذا، الغريب أن رجال المدينة أصابهم نفس الداء. كل الرجال يوماً بعد يوم تقصر قاماتهم، تقصر كأنما يرتدون إلى الوراء بأعمارهم وأطوالهم، وإن كان ما فى تجويف الأدمغة لا يتغير. ذات الهموم والآلام، وفوقها كل يوم مزيد.

وقد حاولت الحكومة فى بداية الأمر تجاهل الموضوع، ولما لم تستطع أتت بساعة جديدة مجربة ومضمونة، ووضعتها فى الميدان الكبير، دارت الساعة شمالاً، ولأن لكل مشكلة حلاً فقد تم عمل ذراع طويلة، وربطها من ناحية بعقارب الساعة، ومن ناحية أخرى بموتور يدور يميناً، وصوّر التليفزيون الميدان والناس والساعة ، وأكد أن الأمور تسير من حسن إلى أحسن، غير أن المشكلة الجديدة فجرت الموقف، ولم يستطع أحد أن يخفى الأمر، واندفعت الصحف - خاصة المعارضة - فى تناوله بلا خوف.. الأكثر من هذا أن المدن من حولنا أرسلت علمائها لمحاولة الوصول إلى سبب ما يجرى، وقد طلب بعضهم أن يعود ببعض الساعات التى تسير إلى الوراء، والرجال الذين تقصر قاماتهم إلى بلاده، لوضعهم تحت الفحص بأحدث الأجهزة، فإذا بالساعات لدهشة الجميع تسير إلى اليمين، والرجال يبدأون فى الاستطالة بمجرد مغادرتهم مدينتنا، الجدير بالذكر أن

الوحيد فى مدينتنا الذى بقى على حالته ولم تقصر قامته هو العمدة العجوز الضخم الجثة العظيم الكرش، ولا نعرف لِمَ؟

قال الولد – ابنى – وهو ينظر إلىّ مرتاباً :

– مدير المدرسة طلب ولىّ أمرى.

لم أفطن لمعنى نظرته لحظتها، لذا قلت بعفوية:

– ماذا فعلت هذه المرة، أتعرف جزاءك إذا اشتكى منك؟ ليقول الولد – ابن العشر سنوات – محتجاً :

– وهل أنت الذى سيأتى معى؟

وهو ينظر إلى قامتى التى كادت تقارب قامته، ويكمل مستدركاً:

– ماما تأتى معى.

وهو ينظر برضا إلى طولها، نظرت إليه بحدة، وأناأبحث عن كلمات أزجره بها، أو عصا أهوى بها على ظهره، كانت أم واقفة إلى جانبه، فانسحبت صامتاً أجرجر ألمى، تبعتنى زوجتى إلى الحجرة تسترضينى، جلست على المقعد وشدتنى لأجلس على حجرها. كالطفل العنيد رفضت، قالت بصدق :

– إذا استمر هذا الوضع سأجن.

هرباً من الخوض فى موضوع أكثر حساسية، يخص علاقتنا الخاصة، هرولت إلى التليفزيون أفتحه، مد المذيع المتجهم الوجه يده إلى أذنى، قربها من فمه وصرخ :

– تم شـراء سـاعـات يابانيـة أصـيلة تسـاير الزمن، وتدور يمـيناً، وسوف توزع على الرجال الذين قصرت قاماتهم.

سألته : وهل يعيد لى هذا ارتفاع قامتى؟

أشاح بوجهه عنى، ولم يرد.

*

فى اليوم المحدد لاستلام الساعة، ارتديت مـلابس ابنى الصغير ، ومضـيت إلى الميدان الكبير، بسـاعته التى تعلو الجامعـة العتيـقة. احتفال هائل كان هناك.. ميكروفونات تشيد بهذا الانجاز الهائل.. أعلام ترفرف.. موسيقى تصدح، والميدان مملوء حتى حافته بالرجال. كانوا على البعد – حينما تراهم – ترى أطفالاً صغاراً فى صخب وضجيج لا يهدأ، فإذا قدر لك أن تقترب، وترى الوجوه، فلحظتها سترى رجالاً بشوارب وذقون، يلبسون الشورت والفانلات العارية الصدور، وفى أرجلهم شرابات طويلة (تصل للركب) مختلفة الألوان. فإذا ما قدر لك أن تقترب أكثر؟ سمعت حوارات غاية فى الجدية، فمن قائل أن الأعداء قد رشّوا الزرع بمبيدات تغتال الرجولة، ومن قائل أن السبب منا، فنحن ألغينا رجولتنا بأيدينا، وتعودنا الرضوخ لأوامر زوجاتنا فى البيت، وتوجيهات رءوسائنا خارج البيت، ولم يعد لنا طعم ولا رائحة، فبدأت أجسادنا تتكيف مع الوضع الجديد، ومن

قائل أن هذا عقاب من الله أنزله بنا لأننا غيّرنا نواميس الكون، وخاصة وضع المرأة، فخرجت من بيتها، ودست أنفها فيما لا يعود عليها ولا على بيتها بالخير، ورفعناها فوق الرجال بقوانين ما أنزل بها الله من سلطان، فجعلنا الله عبرة، ومن قائل أن الحكومة رأت أن تشغل الرجال بعيداً عنها وعما تفعله ففعلت فينا هذا، ومن قائل أن الزوجات هن الفاعلات لينتصرن على الرجال!

كلمات كثيرة سمعتها، وأفواها عديدة رأيت كل منها يزفر ما لديه فى حدة، غير أن الكل صمت حينما وقف مسئول لجنة توزيع الساعات أمام الميكروفون، خلف المنصة المنصوبة وسط الميدان الكبير، صمت مترقب قلق ساد المكان، ونظرات حائرة راجية أحاطت بشفتى الرجل، تنتظر منه التفضل بالبدء فى الكلام، غير أنه وقد شعر بأهمية مكانه آخذ يدير عينيه فى الوجوه من حوله، حتى كلّت رقبته من الدوران، بعدها أمسك الميكروفون وأعلن أسفا، أن الساعات بمجرد دخولها المدينة غيرت من سيرها!!

تعالت الهتافات الساخطة والأسئلة الحائرة، عما يجرى ولا ندرى **له تفسيراً، وهذا الجو** الذى نعيش فيه، وتعالت الصيحات تطلب **ضرورة البحث فوراً عن** حل، لحظتها فرد الرجل مسئول لجنة توزيع **الساعات ذراعيه طالباً** الصمت، حتى إذا تم له ما أراد ارتفع صوته

فى الميكروفون مبشراً :

- اطمئنوا.. بحثنا عن الحل ووجدناه . بناء على توجيهات عمدة قريتنا الموقر بأن يعاد الأمر إلى ما كان عليه فوراً فقد تقرر الآتى :

أولاً : إلغاء الساعات الموجودة بشكلها الحالى، وعمل ساعات أرقامها (من ١ الى ١٢) تسير يساراً.

وبالتالى تصبح العقارب فى سيرها ناحية الشمال بدل اليمين طبيعية، ولا تحدث مشكلة.

ثانيا : تقرر تعويض القامات القصيرة بأسماء تلغى المشكلة فوراً مثل محمد الطويل.. على الأطول.. حسن المستطيل.. حسين المطول. وهكذا وتأكيدا لعدالة التوزيع سيترك لكم اختيار الصفة المناسبة كما ذكرت، ولن تتدخل الحكومة فى هذا.

ثالثاً: بعد الاختيار سيتم توزيع طرابيش لها أطوال مختلفة، تم صنعها خصيصاً من أجلكم، كل واحد منكم سيأخذ طربوشاً بطول مناسب، ويكتب على الواجهة اسمه الجديد، مثلا أنا اسمى أحمد المتطاول، أكتب هنا(وأشار إلى مقدمة الطربوش) اسمى ليعرفنى كل الناس.

وبهذا تنتهى المشكلة.

*

استلمت طربوشى الجديد، وارتديته فوق رأسى، بعد أن كتبت اسمى بلون أزرق على قماشه الأحمر، ليكون واضحاً للعيان:

« أطول محمود فى التاريخ»

وعدت إلى بيتى فرحاً، أنظر إلى أسفلت الطريق من علٍ !!

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)